

مَشَكَاةُ الصَّحِيحِينَ



إعداد: د. محمد عمارة



مشكاة الصحيحين

جمعُ بين صحيح البخاري وصحيح مسلم

حُذِفَت أسانيده، وأُعيد ترتيب أبوابه حسب مركزية الموضوع



اللهم اجعله صدقةً جاريةً لكتابه ولأهل بيته

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا كتابٌ لم يُقصد به أن يكون بديلاً عن الصحيحين، ولا مختصراً يُغني عن أصلهما؛ فأصلهما باقٍ لا يُداني، بأسانيده وطرقه وفقه أئمنه. وإنما كانت الغاية أن يُفتح باب هذا الكنز على قارئٍ يهابه أحياناً لضخامته، أو يتوه بين تكرار الأسانيد وتشعب الأبواب الفقهية الدقيقة، فلا يذوق من صحيح البخاري وصحيح مسلم إلا ما يُقتبس منهما في خطبةٍ أو مقال.

فكانت الفكرة: أن يُجمع الحديثان معاً -لا مكرراً لهما، بل مدمجاً بينهما حيث اتفقا-، وأن تُعاد أبوابه ترتيباً يبدأ بالأصل الكلي (الإيمان والتوحيد والنبوة والقرآن) قبل أن ينتقل إلى فروعه (العبادات، ثم القلب والأخلاق، ثم المعاملات، ثم العلم والدعوة، ثم الغيب والآخرة) بدل الترتيب الفقهي المعتاد الذي يبدأ بالطهارة. وأن تُحذف سلسلة الرواة الوسطاء ("عن فلان عن فلان") مع الإبقاء على الصحابي راوياً في صدر كل حديث، إذ في معرفة من نقل هذا عن النبي ﷺ قيمةٌ لا يليق إسقاطها، وإن كان إسقاط ما بعده تيسيراً لا إخلال فيه بالأمانة العلمية، ما دامت الإحالة إلى "متفق عليه" أو "رواه البخاري" أو "رواه مسلم" قائمةً بعد كل حديث.

أما الأسلوب، فحاولتُ أن يكون مزيحاً بين ثلاثة: الرافعي في افتتاحياته الوجدانية التي تُدخل القارئ إلى الحديث من باب القلب قبل العقل، وابن القيم في تقسيمه المنهجي الذي يُرتب المعاني درجاتٍ ومراتب، والغزالي في ربطه الدائم بين ظاهر الشريعة وباطنها. وقد التزمتُ ألا أذكر إلا ما ثبت في الصحيحين خاصةً، فاستبعدتُ عن قصدٍ أحاديث مشهورة على الألسنة لكنها من رواية غيرهما، ونَبَّهْتُ على ذلك حيثما وقع.

وهذا العمل - كما ذُكر في خاتمة كل بابٍ من أبوابه- مسودةٌ أولى شبه شاملة، لا جردٌ حرفيٌّ كاملٌ لكل رواية وطريق، ولا يُغني عن مراجعةٍ نهائيةٍ على المتن الأصلي قبل أي اعتماد للنشر.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل، بكل ما فيه من نقصٍ أعرفه وما لا أعرفه، صدقةً جاريةً لي ولأهل بيتي، ينتفع به من قرأه، ويبقى أجره بعد انقطاع العمل، وأن يغفر لي ما زلّ فيه القلم عن الصواب، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

القسم الأول: أصل الدين

1. الإيمان
2. التوحيد وصفات الله
3. النبوة والرسالة
4. القرآن وفضائله

القسم الثاني: العبادات

5. الطهارة
6. الصلاة (١): فضلها وأركانها
7. الصلاة (٢): الجماعة والمسجد
8. الزكاة والصدقة
9. الصوم
10. الحج

القسم الثالث: القلب والأخلاق

11. الإخلاص والصدق

12. الصبر والشكر

13. الحياء والتواضع

14. الغضب وضبط النفس

القسم الرابع: المعاملات

15. الأسرة

16. الجيرة والمجتمع

17. البيع والمال

18. القضاء والعدل

القسم الخامس: العلم والدعوة

19. العلم والدعوة

القسم السادس: الغيب والآخرة

20. القدر

21. الموت والبرزخ

22. القيامة والجنة والنار

23. الفتن وأشراط الساعة

ملحق

الأحاديث القدسية



القسم الأول

أصل الدين



باب الإيمان

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الأول، القسم الأول: أصل الدين

ثمة كلمة واحدة تفصل بين قلبٍ يحيا وقلبٍ يتنفس فقط؛ تلك الكلمة هي "الإيمان". ليس مذهباً يُحفظ، بل هو النور الذي إذا استقر في الصدر أعاد ترتيب الدنيا كلها في عين صاحبه. وقد جعل النبي ﷺ لهذا النور حدًّا يُعرف به، وأركاناً تُقام عليها، وشُعَباً تنفُرع منها، وعلاماتٍ يُعرف بها صاحبه من ضده، ودرجاتٍ يتفاضل فيها الناس. هذا الباب يجمع محاور هذا النور كلها، لا الأشهر منها فحسب.

١. حقيقة الإيمان الكلية

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على خفيه، وقال: "يا محمد، أخبرني عن الإسلام". فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة،

وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال: صدقت. فعجبنا له؛ يسأله ويصدقّه!

قال: "فأخبرني عن الإيمان". قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال: صدقت.

قال: "فأخبرني عن الإحسان". قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". ثم انصرف الرجل، فقال النبي ﷺ لأصحابه: "أتدرون من السائل؟ ذاك جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم". (متفق عليه)

إسلامٌ هو الجوارح، وإيمانٌ هو القلب، وإحسانٌ هو المراقبة التي لا تفترو. ولا يكتمل البنيان إلا حين تتصافح الدرجات الثلاث في نفسٍ واحدة؛ وعلى هذا الميزان تُقاس كل محاور هذا الباب.

٢. أركان الإسلام الخمسة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (متفق عليه)

خمسة لا نخسون؛ فقد رحم الله عباده حين لم يجعل الأصل ثقيلاً وإن جعل الفروع كثيرة. كل ركنٍ منها بابٌ من أبواب التذلل: شهادةٌ يتبعها القلب، وصلاةٌ تتجدد كل يوم، وزكاةٌ تطهر المال، وصومٌ يكسر النفس عن مألوفها، وحجٌ يغسل العبد من درن العمر.

٣. شعب الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضعةٌ وسبعون -أو بضعةٌ وستون- شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق". (متفق عليه)

من العجيب أن يجتمع في ميزانٍ واحد أعلى الشعب وأدناها: كلمة التوحيد التي تُدار عليها الدنيا والآخرة، وإمطة حجرٍ عن طريق المارة؛ ليعلم العبد أن الإيمان لا يُقاس بضخامة الفعل، بل بصدق القصد فيه.

٤. حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ثلاثٌ من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ

المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار". (متفق عليه)

الحلاوة هنا ليست استعارة عابرة؛ فمن ذاق طعم هذا الحب لم يعد يقارن به أي حبٍّ آخر، ومن لم يذقه بعد فهذا الحديث خريطة الطريق إليه: محبةٌ نتقدم كل محبة، ومحبةٌ لا تشوبها منفعة، ونفورٌ من الرجوع كنفور الجسد من النار.

٥. علامات الإيمان في القول والمعاملة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". (متفق عليه)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". (متفق عليه)

هنا ينزل الإيمان من عالم الغيب إلى عالم المعاملة اليومية: لسانٌ يضبط، وجارٌ يُكرم، وضيفٌ يُحتفى به، وقلبٌ لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه. مقياسٌ لا يحتاج كشفًا ولا مقامًا، بل نظرة صادقة في المرآة كل يوم.

٦. علامات النفاق — نقيض الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان." (متفق عليه)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر." (متفق عليه)

لا يُعرف النور إلا بجواره ظل؛ ولذلك جاءت هذه العلامات كمرآةٍ مقلوبة لكل ما سبق: فإن كان الإيمان صدقاً ووفاءً وأمانةً، فنقيضه كذبٌ وغدرٌ وخيانة. ووضع النبي ﷺ هذه العلامات في متناول كل إنسان، لا في علم غيبٍ يحتكره أحد.

٧. الحياء من الإيمان

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "الحياء لا يأتي إلا بخير." (متفق عليه)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مرَّ على رجلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: "دعه، فإن الحياء من الإيمان". (متفق عليه)

الحياء الذي ظنَّه بعض الصحابة ضعفاً، جعله النبي ﷺ شعبة من الإيمان لا تُستأصل؛ فهو الحارس الخفي الذي يمنع الجوارح قبل أن يمنعها القانون، ويوقظ القلب قبل أن يوقظه اللوم.

٨. أثر الإيمان في إنكار المنكر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". (رواه مسلم)

ثلاث درجات لا درجة واحدة، حتى لا يُترك أحدٌ بلا نصيب من التغيير: فمن عجز عن اليد لم يُعذر في اللسان، ومن عجز عنهما لم يُعذر في القلب. فأدنى الإيمان ألا يرضى الباطل، وإن لم يملك رفعه.

٩. نقص الإيمان بالمعصية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن". (متفق عليه)

ليس معنى الحديث خروج العاصي من الملة، بل أن نور الإيمان الكامل ينحسر عن القلب في لحظة المعصية، كسحابة تحجب الشمس دون أن تطفئها؛ فإذا تاب العبد عاد له نوره.

١٠. الإيمان وأفضل الأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله". قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل: ثم ماذا؟ قال: "حجٌّ مبرور". (متفق عليه)

جاء الإيمان في صدر الترتيب لا لأنه عملٌ من الأعمال، بل لأنه الأصل الذي بدونَه لا يُحتسب عمل؛ فكل ما يليه من جهادٍ وحجٍّ وغيرهما إنما هو ثمرٌ لهذا الأصل.

١١. أدنى الإيمان ينجي من الخلود في النار

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرةٍ من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّةٍ من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرّةٍ من خير". (رواه البخاري)

بهذا يُختم هذا المحور على رحمةٍ لا يبلغها حساب: فثقل الذرة من الإيمان، وإن ضُغف، لا يضع عند من رحمته سبقت غضبه.

١٢. الدين النصيحة

عن تميم الداري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة". قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم". (رواه مسلم)

ثلاث كلمات تختصر الدين كله: إخلاصٌ لله، واتباعٌ لكتابه ورسوله، وصدقٌ في التعامل مع الحاكم والمحكوم على حدٍّ سواء؛ فالنصيحة ليست كلمة نقدٍ عابرة، بل موقفٌ شامل من كل ما يتعلق به الإنسان.

١٣. لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا؛ أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". (رواه مسلم)

ربط النبي ﷺ الجنة بالإيمان، والإيمان بالتحاب، والتحاب بعملٍ بسيطٍ يقدر عليه كل أحد: إفشاء السلام؛ فالطريق إلى الجنة قد يبدأ بكلمة يسيرة كـ "السلام عليكم".

١٤. سباب المسلم فسوق

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر". (متفق عليه)

درجتان من الخطورة لفعلين مختلفين: السباب فسوقٌ يخرج به المرء عن طاعته، والقتال كفرٌ يشابه فعل من لا يؤمن؛ تحذيرٌ يكفي وحده لضبط اللسان واليد معاً تجاه كل مسلم.

١٥. من حمل علينا السلاح فليس منا

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا". (متفق عليه)

نفى صريح للانتساب ممن يشهر سلاحه على إخوانه؛ فالانتماء للأمة ليس شعاراً برُفع، بل سلوكاً يُمارس أول ما يُمارس في الأمن الداخلي بين أفرادها.

١٦. خير الإسلام إطعام الطعام

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: "تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف". (متفق عليه)

سؤالٌ عن أفضل الإسلام، فجاء الجواب بفعلين بسيطين لا يحتاجان جاهاً ولا مالاً كثيراً: إطعامٌ يشمل حتى الغريب، وسلامٌ لا يُخصَّص بالمعارف وحدهم.

١٧. الإسلام يهدم ما كان قبله

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه قال للنبي ﷺ حين أراد الإسلام:
إبسط يمينك فلأبأيعك، فبسط رسول الله ﷺ يده، فقبض عمرو يده. فقال:
"مالك يا عمرو؟" قال: أردت أن أشتري. قال: "تشتري ماذا؟" قال: أن يغفر
لي. قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟". (رواه مسلم)

طلب عمرو شرطاً ظنّ أنه يحتاج إلى تفاوض، فإذا الجواب أوسع من طلبه:
الإسلام نفسه هدمٌ لكل ما قبله، بلا حاجةٍ لشرطٍ يُضاف إليه.

باب التوحيد وصفات الله

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثاني، القسم الأول: أصل الدين

إذا كان باب الإيمان قد فتح القلب على معنى الإيمان في ذاته، فإن هذا الباب يسأل السؤال الذي لا معنى للإيمان بدونه: بمن آمنا؟ هنا تُجمع محاور معرفة الله كما وردت في الصحيحين: حقّه الذي لا يُشَارَك فيه، وصبره على من يُشْرِك به، وأسماءه التي تُخصى، وعلمه المحيط، ورحمته السابقة، وفرحه بالتائب، وقربه من الذاكر، ونزوله في السَّحَر، وعلوه فوق خلقه، وتصريفه للقلوب.

١. حق الله على العباد

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا

به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً". (متفق عليه)

كل شريعة بعد هذا الحديث تفصيلٌ لهذا الأصل الواحد: عبادة لا يُشرك فيها أحد. فمن حفظه حفظ دينه كله، ومن فرط فيه فقد ما لا يجبره اجتهاد في غيره.

٢. صبره على من أشرك به

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافهم ويرزقهم". (متفق عليه)

عجيبٌ أن ينسب إلى الله الشريك والولد، ثم لا ينقطع عن المشرك رزق ولا عافية؛ فذلك الصبر وحده برهانٌ على أن حلمه أوسع من جهل الخلق.

٣. أسماؤه الحسنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر".

(متفق عليه)

"إحصاء" الاسم ليس حفظه فحسب، بل استحضار معناه حتى يصبح جزءاً من نظر العبد إلى نفسه وإلى الكون؛ فإذا سَمِيَ نفسه بـ"الرّزاق" هدأ قلق الرزق، وإذا سَمِيَ نفسه بـ"الغفور" لم يئأس مذنّب.

٤. عليه المحيط بالغيب

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفسُ بأي أرضٍ تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله". (رواه البخاري)

خمسة أبوابٍ من الغيب موصدة على كل مخلوق، مفتوحةٌ عند واحد؛ وفي هذا وحده كفايةٌ لمن أراد أن يتعلم التسليم بدل القلق على الغد الذي لا يملك منه شيئاً.

٥. رحمته سبقت غضبه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي". (متفق عليه)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة منهم تسعى، إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ لأصحابه: "أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟" قلنا: لا. فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها". (متفق عليه)

سبقت الرحمة الغضب قبل أن يُخلق الخلق، فهي أصلٌ سابقٌ لا ردّ فعل. وإذا كانت رحمة الأم لا تساوي شيئاً أمام رحمة خالقها، فأَيُّ أمانٍ ذاك الذي يقصر عن عبدٍ يقصده؟

٦. فرحه بتوبة عبده

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس منها، فبينما هو كذلك إذا

هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح". (متفق عليه)

فرحٌ يفوق فرح من فقد كل شيء ثم استرده في لحظة يأسه الأخيرة؛ وهذا هو الفرح الذي ينتظر كل عبدٍ يعود، مهما طال بعده.

٧. قربه من عباده عند ذكركم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم". (متفق عليه)

القرب هنا مشروطٌ بالذكر لا بالمكان؛ فكل ذكرٍ يفتح باباً من القرب، وكل قلبٍ يظن بربه خيراً يجد ما ظنّ.

٨. نزوله في الثلث الأخير من الليل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من

يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟". (متفق عليه)

في الثلث الأخير، حين تغرق الدنيا في نومها، تُفتح نافذةٌ لا تُغلق؛ وهذا وحده كافٍ ليجعل من ساعة السَّحَرِ أثنى ساعات العمر.

٩. علوه فوق خلقه

عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه، أنه أراد عتق جارية، فسألها النبي ﷺ: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله. قال: "أعتقها، فإنها مؤمنة". (رواه مسلم)

جاء الجواب من قلبٍ بسيط لا من عالمٍ متكلف؛ وفي بساطته وضوحٌ يغني عن طول الجدل: إيمانٌ فطريٌّ يعرف مكانة ربه ورسوله دون تعقيد.

١٠. تصريف القلوب بيده

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد، يصرفها حيث

يشاء". ثم قال: "اللهم مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك". (رواه مسلم)

من عرف من الذي بيده حق العبادة، وأسماء الرحمة، وقُرب الإجابة، لم يبقَ له إلا أن يُسلم قلبه — أشدَّ ما يملك تَقَلُّباً — لمن لا يتقلب.

١١. لا يميل الله حتى تملّوا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يميل حتى تملّوا". (متفق عليه)

عبارة تُقرّب صفة الله بما يفهمه البشر دون أن تُشبهه بهم؛ والمعنى المقصود: أن العبد هو من ينقطع عن العمل من فتور، لا أن يُسدّ عليه باب القبول من ربه.

١٢. أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء". (رواه مسلم)

لم تكن أقرب لحظةٍ إلى الله وقفةً ولا قعوداً، بل سجوداً؛ حين تكون الجبهة -أعلى ما في الإنسان- على الأرض، تكون الروح في أعلى قربها من خالقها.

١٣. من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي... ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة". (رواه البخاري)

معادلةٌ لا تُوجد إلا عند الله: خطوة العبد الصغيرة تُقابل بخطوةٍ أكبر منها أضعافاً، وسعيه العادي يُقابل بهرولة؛ فالكرم في المقابلة من صفاته سبحانه.

١٤. إذا أحب الله عبداً نادى جبريل

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض". (متفق عليه)

قبولٌ ينزل من السماء إلى الأرض بترتيبٍ عجيب: محبة الله أولاً، ثم محبة جبريل، ثم محبة أهل السماء، ثم القبول بين الناس؛ فما يبدو أثراً اجتماعياً عابراً قد يكون له أصلٌ في السماء لم يشعر به صاحبه.

١٥. دعاء النوم بأسمائه الأولى والآخرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: "اللهم ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء... أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء". (رواه مسلم)

بهذا يُختَم الباب على دعاءٍ يجمع أربعة أسماء في جملةٍ واحدة: أولٌ لا بداية قبله، وآخرٌ لا نهاية بعده، وظاهرٌ لا شيء فوقه، وباطنٌ لا شيء دونه؛ فمن استحضر هذا الدعاء قبل نومه، نام وقلبه معلقٌ بمن لا حدَّ لعظمته.

باب النبوة والرسالة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثالث، القسم الأول: أصل الدين

بعد أن عرف القلب من هو الله، يبقى سؤال لا يقل إلحاحاً: كيف وصل هذا الخبر إلينا؟ من ذاك الذي حمل الرسالة، وكيف بدأ حمله لها، وبأي حق يُطاع، وبأي مكانة يُحبّ، وبأي معجزة صدّقه الناس؟ هذا الباب يجمع محاور النبوة كما وردت في الصحيحين: بدء الوحي، وخاتمته، وعموم رسالته، ومعجزته الكبرى، وشفقته على أمته، وحبّه الواجب، وطاعته المفترضة، وشفاعته المدخرة، ومقامه يوم القيامة.

١. بدء الوحي وشهادة خديجة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد، حتى جاءه الحق وهو في الغار، فجاءه الملك فقال: "اقرأ". قال: "ما أنا بقارئ". فأخذه فغطّه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال: "اقرأ". فقال: "ما أنا بقارئ". فأخذه فغطّه الثانية حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال: "اقرأ". فقال: "ما أنا بقارئ". فأخذه فغطّه الثالثة، ثم أرسله فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال: "زملوني زملوني"، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي". فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. (رواه البخاري)

لم تكن شهادة خديجة مجاملة زوجة، بل شهادة امرأة عرفت صاحبها عشرين عاماً قبل أن يوحى إليه؛ فحين ارتجف القلب من هول اللقاء الأول بالغيب، لم يكن له سندٌ إلا سيرةً نظيفةً سبقت الرسالة: رحمٌ يوصل، وضعيفٌ يحمل، وضيعٌ يكرم. فالنبوة لم تصنع الرجل، بل اختارت رجلاً صنَّ خلقه من قبل.

٢. خاتم الأنبياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين". (متفق عليه)

قرون من الأنبياء، كلُّ منهم لبنَةٌ في بناءٍ واحد، حتى اكتمل البيت بآخرهم؛ فليست الخاتمة قطيعةً عمّن سبق، بل إتمامٌ لما بُني على مدى التاريخ كله.

٣. عموم رسالته للناس كافة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "أُعْطِيتَ نَحْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجلٍ من أمّتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة". (متفق عليه)

كل نبيٍّ سبقه كان مرسلًا إلى قومه وحدهم؛ أما هو ﷺ فرسالته لا تحدّها جغرافيا ولا عرق، فكل إنسانٍ إلى قيام الساعة مخاطبٌ بها.

٤. معجزته الكبرى: القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما من الأنبياء نبيٍّ إلا أُعْطِيَ ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ،

فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة". (متفق عليه)

معجزات الأنبياء السابقين انتهت بانتها زمانها، أما معجزته فباقيةٌ تُنلَى في كل عصر، وهذا سرُّ رجائه ﷺ أن يكون أكثرهم أتباعاً: فالمعجزة الحية تصل إلى من لم يُدرکه العيان.

٥. شفقتة على أمته

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مثلي ومثل الناس كمثل رجلٍ استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن فيها، فأنا آخذٌ بحُجُزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي". (متفق عليه)

صورةٌ لا تُنسى: نبيٌّ يمسك بثياب أمته وهي تندفع نحو نارها بإرادتها، ويده لا تكلّ من الجذب وإن أفلتت الأيدي. تلك هي الرحمة حين تصطدم بحرية الاختيار.

٦. شفاعته المدخرة لأُمته

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً". (متفق عليه)

ادّخر دعوته المستجابة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، بينما تعجل غيره من الأنبياء دعوته في الدنيا؛ فأثر أمته على نفسه في أحوج لحظة.

٧. محبته الواجبة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". (متفق عليه)

ليست المحبة هنا شعوراً عاطفياً يُترك لمزاج القلب، بل شرط في تمام الإيمان؛ فمحبته ﷺ محبة تُقاس بالاتباع لا بالكلام.

٨. طاعته المفترضة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني". (متفق عليه)

طاعته ﷺ ليست طاعةً موازيةً لطاعة الله، بل هي عيناها؛ فلا يُتصور حبُّ الله يناقض اتباع رسوله.

٩. سيادته يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ وأول مشفع". (رواه مسلم)

بهذا يُغلق الباب على المشهد الأخير: من كان في الدنيا رحمةً تحجز عن النار، يكون في الآخرة أول من يُفتح له باب الشفاعة.

١٠. أحسن الناس خلقاً

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً". (متفق عليه)

لم تكن أخلاقه ﷺ منفصلةً عن نبوته، بل كانت الدليل الحيّ عليها؛ فمن عاشره عشر سنين، كأُنس، لم يجد كلمةً أدقّ لوصفه من: أحسن الناس.

١١. ما خَيْرٌ بين أمرين إلا اختار أيسرهما

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خَيْرٌ رسول الله ﷺ بين أمرين قطّ إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه". (متفق عليه)

قاعدةٌ عمليةٌ في حياته كلها: التيسير ما لم يضطدم بحدود الحلال والحرام؛ فلم يكن التشدد على نفسه أو على غيره من صفاته، إلا حيث لا مجال للتيسير.

١٢. أوتيت جوامع الكلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "بُعِثْتُ بِجِوَامِعِ الْكَلَمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي". (رواه البخاري)

من معجزاته ﷺ فصاحته نفسها: كلماتٌ قليلةٌ تحمل معاني واسعة، حتى صارت أحاديثه القصيرة توازي في أثرها خطباً طويلة.

١٣. لا تَخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ". (متفق عليه)

مع علوِّ مقامه ﷺ وخاتمته، نهى عن المفاضلة المتعصبة بين الأنبياء؛ فكلهم إخوةٌ لعَلَّاتٍ، دينهم واحد، ولا يليق بأَمته أن تجعل حبه سبباً في التقليل من إخوانه المرسلين.

١٤. مثل الغيث الكثير

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ كثيرٍ أصاب أرضاً؛ فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةٌ أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً". (متفق عليه)

بهذا يُغلق الباب على تشبيهه يصف استقبال الناس لرسالته: قلوبٌ تُنبت وتُثمر، وقلوبٌ تحفظ لتنفع غيرها، وقلوبٌ لا تقبل ولا تنفع؛ والمطر واحد، لكن الأرض تتفاوت.

باب القرآن وفوائده

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الرابع، يختم القسم الأول: أصل الدين

من الله عرفنا من نعبده، ومن النبي ﷺ عرفنا كيف نعبده، وبالقرآن وصل إلينا الخبران معاً محفوظاً لا يتبدل. هذا الباب يجمع محاور فضل القرآن كما وردت في الصحيحين: منزلة أهله، ومثل حامله، وأجر تاليه، وشفاعته يوم القيامة، وأثره في البيت، وخطر هجره، والحسد المشروع في تعلمه، وسكينة مجالسة أهله، وكونه حجة لصاحبه أو عليه.

١. أفضل الناس في القرآن

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". (رواه البخاري)

لم يجعل النبي ﷺ الخيرية في حفظ القرآن وحده، بل في حلقة مزدوجة: تعلم^١ يصلح صاحبه، وتعليم^٢ يمتد أثره إلى غيره. فمن حبس عليه لنفسه فاته نصف الخيرية.

٢. مثل صاحب القرآن ومثل تاركه

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيبٌ وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيبٌ وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة، ليس لها ريحٌ وطعمها مرّ". (متفق عليه)

أربع صورٍ لأربعة قلوب: فمن جمع بين الإيمان والقرآن فاح أثره في كل حال، ومن آمن ولم يقرأ بقي خيره في باطنه فقط، وأخطر الصور تلك التي تُخفي مرارتها وراء ربح طيبة.

٣. أجر الماهر والمتع

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "الماهر بالقرآن مع السَّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران". (متفق عليه)

لم يُغلق الباب أمام من يصعب عليه الحفظ أو يثقل عليه اللسان؛ فشقته نفسها مضاعفةً في الأجر، ولا يُشترط الإتيان لنيل الرحمة، بل يكفي الجهد الصادق.

٤. شفاعته يوم القيامة

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما". (رواه مسلم)

لا يبقى القرآن حروفاً على ورق يوم القيامة، بل يتجسد شفيعاً يحاج عن كان يتلوه؛ فمن استثمر وقته في صحبته اليوم، وجده يدافع عنه في اليوم الذي لا صديق فيه سواه.

٥. أثره في البيت

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة". (رواه مسلم)

فرق بين بيتٍ حيٍّ بذكر الله وبيتٍ صامتٍ كالقبر؛ والفارق آيةٌ واحدةٌ تُتلى فيه، تكفي لتطرد منه ما لا تطرده الأفعال.

٦. تعاهده وخطر هجره

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا". (متفق عليه)

شبهه بما يعرفه كل عربي: بغيرٍ مربوطٍ لا يفلت إلا إن غفل صاحبه؛ فحفظ القرآن ليس إنجازًا يُختم مرةً، بل مراجعةٌ لا تنقطع، وإلا أفلت كما يفلت المربوط من إهمال حارسه.

٧. الحسد المشروع في تعلمه

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار". (متفق عليه)

الحسد المذموم يتمنى زوال النعمة عن صاحبها؛ أما هذا فغبطةٌ تتمنى مثلها دون زوالها، وقرن صاحب القرآن بصاحب المال المنفق ليعلم العبد أن حمل القرآن نعمةٌ تستحق الغبطة كما تُستحق الثروة المبدولة.

٨. سَكِينَةُ مَجَالِسَةِ أَهْلِهِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". (رواه مسلم)

أربع عطايا تنزل معاً على مجلسٍ واحد: سَكِينَةٌ تُذهب القلق، ورحمةٌ تغشى الجالسين، وملائكةٌ تحفّ بهم، وذكرٌ من الله لهم في الملائكة الأعلى؛ فما أكرم مجلساً هذا عطاؤه.

٩. حِجَّةُ لَصَاحِبِهِ أَوْ عَلَيْهِ

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال ضمن حديثٍ أطول: "...والقرآن حِجَّةٌ لك أو عليك...". (رواه مسلم)

لا يبقى الكتاب محايداً عند صاحبه؛ فإما أن يشهد له لأنه عمل بما فيه، وإما أن يشهد عليه لأنه حمله ولم يأتمر بأمره. وبهذا يُختم هذا المحور: القرآن ليس مجرد نصٍّ يُتلى، بل شاهدٌ لا يُرد.

١٠. يرفع الله به أقواماً

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين". (رواه مسلم)

كتابٌ واحد، لكنه يصنع مصيرين متضادين: رفعةً لمن حمله وعمل به، وضعةً لمن أعرض عنه أو حرّف معناه؛ فالقرآن ليس محايداً في أثره على من يتعامل معه.

١١. ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن". (رواه البخاري)

أي: من لم يُحسّن صوته به ويستغني به عن غيره؛ فتلاوته ليست قراءةً جافةً، بل استغناءً به عن كل ما سواه من كلام.



القسم الثاني

العبادات



باب الطهارة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الخامس، يفتح القسم الثاني: العبادات

بعد أن عرف القلب ربه ونبيه وكتابه، يبدأ أول عمل يُقدّمه بجسده: الطهارة. ليست تنظيفاً للبدن فحسب، بل باباً يُفتح به كل عبادة، ومحوّاً للخطايا قبل أن يقف العبد بين يدي ربه.

١. الطهور شرط الإيمان

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها". (رواه مسلم)

شرط الإيمان! لم يجعله النبي ﷺ شرطاً هامشياً، بل نصف الطريق إلى القلب النقي؛ فكأن كل وضوء خطوة إضافية نحو ذلك النصف الذي لا يكتمل الإيمان بدونه.

٢. أثره في تكفير الخطايا

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره". (رواه مسلم)

صورة دقيقة: الخطايا لا تُغسل من ظاهر الجسد فقط، بل تسرب من أخفى موضع فيه؛ فكأن الماء يتبع أثر الذنب إلى حيث لا يراه صاحبه.

٣. إسباغه على المكاره

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟" قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط". (رواه مسلم)

القيمة الحقيقية ليست في الوضوء السهل في يومٍ دافئ، بل في إسباغه حين يشقّ على النفس؛ فكل مشقةٍ تُحتمل هنا رباطٌ في سبيل الله، وإن لم يخرج صاحبها من بيته.

٤. الغرة والتحجيل يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّتَه فليفعل". (متفق عليه)

أثر الوضوء لا ينتهي بجفاف الماء عن الجسد؛ بل يبقى علامةً يُعرف بها صاحبها يوم لا تنفع فيه علامةٌ سواها.

٥. شرط لقبول الصلاة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "لا يقبل الله صلاةً بغير طهور، ولا صدقةً من غلول". (رواه مسلم)

فلا يصح أن يقف العبد بين يدي ربه إلا وقد طهر أولاً؛ فالطهارة ليست تمهيداً اختيارياً، بل شرطٌ لا تصح العبادة بدونه.

٦. الوضوء على الوضوء

عن بريدة رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ الصلوات يوم فتح مكة بوضوء واحد، ومسح على خفيه، فقال له عمر: لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟ قال: "عمداً صنعته يا عمر". (رواه مسلم)

بيّن النبي ﷺ بفعله أن تجديد الوضوء لكل صلاةٍ مستحبٌّ لا واجب؛ وأنه حين ترك التجديد يوماً، لم يكن ذلك سهواً، بل بياناً للتيسير المتاح.

٧. لولا أن أشقّ على أمتي

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لولا أن أشقّ على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة". (متفق عليه)

لم يفرضه النبي ﷺ مع محبته له، رفقاً بأئمة من المشقة؛ فالسنة هنا رحمةٌ مزدوجة: استحبابٌ لخيرٍ يعرفه، وعدم إلزامٍ به رحمةٌ بالعاجز عنه.

٨. حب النظافة من الفطرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الفطرة خمس -أو خمس من الفطرة -: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب". (متفق عليه)

خمس خصالٍ فطرية، لا شرعية محضة فقط؛ فالنظافة الشخصية ليست تكلفاً دخيلاً على الدين، بل جزءٌ من الفطرة السليمة التي جاء الإسلام ليؤكد لها لا ليخترعها.

٩. غسل اليد بعد الاستيقاظ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً؛ فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده". (متفق عليه)

احتياطٌ نظيف يسبق أي استعمالٍ للماء المشترك؛ فاليد التي تتحرك في الغفلة قد تلامس ما لا يشعر به صاحبها، فحاء الأمر بالغسل استظهاراً لا تشدداً.

بهذا يُختم الباب على تيسيرٍ عملي آخر: فالطهارة، مع صرامة شرطها، جاءت مصحوبةً برُخصٍ تراعي ظروف السفر والحياة اليومية، لا عبثاً يُثقل كاهل المسافر.

باب الصلاة – الجزء الأول: فضلها وأركانها وخشوعها

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم – الفصل السادس، القسم الثاني: العبادات

من بين العبادات كلها، لم تُفرض عبادةٌ في السماء مباشرةً إلا الصلاة؛ فقد نزل جبريل بسائر الأحكام، وصعد النبي ﷺ بنفسه ليأخذها. هذا وحده كافٍ ليدرك القارئ مكانتها قبل أن يقرأ فضائلها.

١. فرضها ليلة الإسراء

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في حديث الإسراء الطويل، أن الصلوات فُرضت على النبي ﷺ ليلة عُرِج به خمسين صلاةً، فَرَّ في رجوعه بموسى عليه السلام، فقال: "بم أمرت؟" قال: "أُمرت بخمسين صلاة". قال موسى: "إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد جرّبت الناس قبلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف". فرجع النبي ﷺ فوضع الله عنه عشرًا، ثم عاد إلى

موسى فأمره بالرجوع مراراً حتى استقرت خمساً، فقليل له: "يا محمد، إنهنّ خمسٌ وهنّ خمسون؛ لكل حسنةٍ عشر أمثالها". (متفق عليه، ملخصاً)

خمسون صلاةً في الميزان، وخمسٌ فقط على الجوارح؛ فالتخفيف نفسه رحمة، وثمرة الخمس أجر الخمسين. ولم يكتفِ النبي ﷺ بقبول الأمر الأول، بل ألحّ بشفاعة موسى حتى بلغ أخف ما يمكن أن يبلغه التكليف، ليعلم العبد أن ربه أرحم به من أن يُثقل عليه بلا داع.

٢. الصلوات الخمس نحو الخطايا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس، يغو الله بهنّ الخطايا". (متفق عليه)

خمس مرات في اليوم، لا مرة واحدة تُنسى؛ فالذنوب تتراكم كما يتراكم الغبار، والصلاة غسلٌ متكرر لا يترك للدّرن فرصة أن يثبت.

٣. إحسانها وخشوعها كفارة

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما من امرئ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤتَ كبيرة، وذلك الدهر كله". (رواه مسلم)

لاحظ الشرط: "يُحسن وضوءها وخشوعها"؛ فالصلاة التي تحو الذنوب ليست حركاتٍ سريعة، بل صلاةٌ يحضر فيها القلب كما تحضر فيها الجوارح. وهنا يلتقي هذا الباب بما سبق في حديث جبريل: أن تعبد الله كأنك تراه.

٤. الفاصل بين الإيمان والكفر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". (رواه مسلم)

بهذا يُختتم هذا المحور على تحذيرٍ لا يحتمل التهاون: فليست الصلاة شعيرةً بين شعائر، بل الخط الفاصل الذي يُعرف به المسلم من غيره. من حافظ عليها فقد ثبت على الجانب الآمن من هذا الخط، ومن تهاون فيها اقترب من حافته.

٥. من صلى البردين دخل الجنة

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من صلى البردين دخل الجنة" -يعني الفجر والعصر-. (متفق عليه)

صلاتان في طرفي النهار، أشقّ الأوقات على النفس: بردُ الفجر ونعاسه، وانشغال العصر بالعمل؛ ومن حافظ عليهما رغم المشقة، كانتا سبباً كافياً لدخول الجنة.

٦. لن يلج النار من صلى قبل الطلوع والغروب

عن عمار بن رؤية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" -يعني الفجر والعصر-. (رواه مسلم)

نفياً صريحاً للنار عن حافظ على هاتين الصلاتين بالذات؛ فكأن المحافظة عليهما علامةٌ على استقامةٍ أشمل تشمل سائر الصلوات.

٧. من ترك العصر فقد حبط عمله

عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله". (متفق عليه)

تحذيرٌ شديدٌ يخص صلاة العصر تحديداً، لعلها الأكثر عرضةً للتفريط بين زحمة العمل وآخر النهار؛ فإضاعتها وحدها كفيلةٌ بإحباط عملٍ كان قائماً.

٨. أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أفضل صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا الجزء على توازنٍ دقيق: الفريضة موضعها المسجد وفضل الجماعة، أما النافلة فبيت العبد أفضل لها؛ فلكل صلاة مكانها الأليق بها.

باب الصلاة — الجزء الثاني: الجماعة والمسجد

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم — تمة الفصل السادس

لم تُشرع الصلاة عبادةً فرديةً وحسب؛ فالنبي ﷺ فضّل صلاتها في جماعة، وربط أجرها بالمسجد وبالخطوات إليه، حتى صار المسجد نفسه محوراً تدور حوله محبة القلب لا الجدران وحدها.

١. فضل الجماعة على صلاة الفرد

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة". (متفق عليه)

سبع وعشرون درجة لخطوة واحدة نحو الجماعة؛ فرق لا يُستهان به بين من صلى وحده ومن آثر أن يقف بجانب أخيه.

٢. أثر الخطوات إلى المسجد

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضةً من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة". (رواه مسلم)

خطوتان لا تضيع واحدةً منهما: هذه تحو، وتلك ترفع؛ فالطريق إلى المسجد نفسه عبادةٌ قبل أن يبدأ العبد صلاته.

٣. فضل النداء والصف الأول، وانتظار الصلاة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا". وقال أيضاً: "لا يزال أحدكم في صلاةٍ ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة". (متفق عليه)

لو عرف الناس فضل الأذان والصف الأول لتنازعوا عليه بالقرعة؛ وحتى الجالس ينتظر الإقامة، تُكتب له صلاةٌ وهو لم يُكبر بعد.

٤. القلب المعلق بالمسجد

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "سبعة يُظَلِّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..." وذكر منهم: "ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد". (متفق عليه)

من بين سبعة نالوا ظل الله يوم لا ظل سواه، رجلٌ لم يفعل شيئاً استثنائياً سوى أن قلبه لم يفارق المسجد وإن فارقه جسده؛ فالتعلق هنا شوقٌ لا حضورٌ جسدي فقط.

٥. التحذير الشديد من تركها

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطبٍ فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذّن لها، ثم أمر رجلاً فيؤمّ الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ لا يشهدون الصلاة، فأحرّق عليهم بيوتهم". (متفق عليه)

لم يصرّح النبي ﷺ بهذا التهديد إلا لأمرٍ عظيمٍ يستحقه؛ فتخلّف الرجل القادر عن الجماعة ليس أمراً هيناً يُمرّ عليه بلا اكتراث.

٦. تسوية الصفوف

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "سوّوا صفوفكم، فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة". (متفق عليه)

حتى استقامة الصف الظاهرة لها أثرٌ في تمام الصلاة الباطنة؛ فالجماعة ليست حضوراً متفرقاً، بل صفٌّ واحدٌ متراسٌّ لا فجوة فيه.

٧. بناء المسجد

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة". (متفق عليه)

بهذا يُغلق باب الصلاة كله: من أعان على إقامتها ولو ببناء جدارٍ يُصلّى فيه، كان له من الأجر بيتٌ في الجنة؛ فأجر الصلاة يمتد إلى من مهّد الطريق إليها ولو لم يصل فيها بنفسه إلا مرة.

٨. أثقل الصلاة على المنافقين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أثقل صلاةٍ على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً".

(متفق عليه)

صلاتان في طرفي الليل، حين يغلب النوم ويصعب القيام، وثقلهما على المنافق علامةٌ كاشفة، بينما لو عرف ما فيهما من أجرٍ لسعى إليهما ولو زحفاً.

٩. الملائكة تصلي على أحدكم في مصلاه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يزال أحدكم في صلاةٍ ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة، والملائكة تصلي عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث، أو يقيم". (متفق عليه)

دعاءً من الملائكة لا ينقطع طالما جلس العبد ينتظر، ولو صمت لسانه، فمجرد البقاء في مكان الصلاة عبادةٌ يُدعى لصاحبها فيها.

١٠. من غدا إلى المسجد أو راح

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له ^{وُجُوهً} نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح". (متفق عليه)

كلمة "نُزْل" تحمل معنى الضيافة؛ فكأن كل ذهابٍ وإيابٍ إلى المسجد يُعامل صاحبه فيه كضيفٍ يُعدّ له مكانٌ في الجنة قبل أن يصل إليها.

١١. تحية المسجد

عن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين". (متفق عليه)

بهذا يُختم باب الصلاة كله: فحتى الدخول إلى بيت الله له تحيةٌ خاصة به، لا يليق بالداخل أن يجلس قبل أن يؤديها.

باب الزكاة والصدقة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل السابع، القسم الثاني: العبادات

إذا كانت الصلاة صلة الجسد بربه، فالزكاة صلة المال بصاحبه؛ تطهير لما في اليد من شُحّه، وتذكير للغني أن ما بيده وديعة لا ملك مطلق. وقد وسّع النبي ﷺ معنى الزكاة ليشمل كل صدقة، ولو كانت كلمة طيبة لمن لا يملك غيرها.

١. لا تنقص الصدقة من مال

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عراً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله".
(رواه مسلم)

يخشى الشحيح أن ينقص ماله بالعتاء، بينما الحقيقة معكوسة: العطاء بابٌ للزيادة لا للنقصان، وإن كان النقصان الظاهر هو ما يراه الحساب البشري القاصر.

٢. مثل المنفق والبخيل

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّتَانِ من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما؛ فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت -أو وفرت- على جلده حتى تُخفي بَنَانُهُ وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لَزَقَتْ كل حلقةٍ مكانها، فهو يوسّعها ولا تتسع". (متفق عليه)

صورةٌ تُحَسِّسُ لا تُفهم فقط: درعٌ واحد، لكنه يتَّسع على صاحبه كلما أنفق، ويضيق على الآخر كلما حاول أن ينفق؛ فالبخل قيدٌ يصنعه صاحبه بيده وهو يظن أنه يحمي بها نفسه.

٣. أفضل الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: "أن تصدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان". (متفق عليه)

الصدقة السهلة هي التي تُعطى بعد أن يفقد صاحبها الحاجة إليها؛ أما الصدقة العظيمة فهي التي يخرجها العبد وهو ما يزال يخشى الفقر ويأمل الغنى — أي وهو في أشد لحظات تعلقه بماله.

٤. اتقوا النار ولو بشق تمر

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "اتقوا النار ولو بشق تمر، فمن لم يجد فبكلمة طيبة". (متفق عليه)

لم يترك النبي ﷺ عذراً لمن يقول "لا أملك ما أتصدق به"؛ فشق تمر صدقة، وكلمة طيبة صدقة لمن لا يملك حتى شق التمرة.

٥. اليد العليا خير من اليد السفلى

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة". (متفق عليه)

معيّارٌ بسيط لعلو المكانة: ليس بكثرة المال، بل باتجاه اليد؛ فمن اعتاد أن يعطي ولو قلّ ما يملك، أعلى قدراً ممن اعتاد أن يمدّ يده وإن كثر ما يملك غيره.

٦. عذاب مانع الزكاة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأُحْمِي عليها في نار جهنم، فيُكْوَى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضَى بين العباد". (رواه مسلم)

مَالٌ حُجِبَ عَنْ حَقِّهِ فِي الدُّنْيَا، يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ؛ فَمَا ظَنُّهُ الْمَانِعُ نَجَاةً لِمَالِهِ، كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ تَأْجِيلًا لِحِسَابٍ أَشَدَّ.

٧. الصدقة الجارية بعد الموت

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له". (رواه مسلم)

بهذا يُخْتَم هذا المحور على أثرٍ لا يتوقف بموت صاحبه؛ فالصدقة الجارية وحدها تجعل الميت كأنه لم يزل ينفق، وإن انقطعت يده عن الدنيا.

٨. الملكان ينزلان كل يوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً". (متفق عليه)

دعاءً يتكرر كل صباح، من ملكين لا يملآن: أحدهما يدعو للمنفق بالخلف، والآخر يدعو على الممسك بالتلف؛ فأَيُّ الدعوتين يريد العبد أن تكون موجهةً إليه؟

٩. الصدقة تُربِّي عند الله كما يُربِّي الفلّو

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من تصدَّق بعدلِ ثمرةٍ من كسبٍ طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها كما يُربِّي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل". (متفق عليه)

ثمرةٌ واحدة قد تبدو تافهة، لكنها في يد الله تنمو كما ينمو المهر الصغير حتى يصير جبلاً؛ فلا يستقلَّ عبدٌ صدقته مهما صغرت.

١٠. ليس المسكين الذي تردّه التمرة والتمرّتان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ليس المسكين الذي تردّه التمرة والتمرّتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعقّف". (متفق عليه)

أعاد النبي ﷺ تعريف المسكين الحقيقي: ليس من يسأل فيُعطى بسهولة، بل من يتعقّف عن السؤال حتى يخفى فقره على من حوله؛ فهذا هو الأولى بالبحث عنه ومساعدته.

١١. من كان له فضلٌ فليعد به على من لا فضل له

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر، فقال: "من كان معه فضل ظهرٍ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليعد به على من لا زاد له". (رواه مسلم)

بهذا يُختم الباب على صورةٍ عمليةٍ من التكافل في السفر: الفائض من الراحلة أو الزاد ليس ملكاً خالصاً لصاحبه ما دام أخوه محتاجاً إليه بجانبه.

باب الصوم

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثامن، القسم الثاني: العبادات

من بين العبادات كلها، اختصَّ الله الصوم بنفسه دون سائر الأعمال؛ فكل عمل بُرى أثره، والصوم وحده سرُّ بين العبد وربّه لا يطلّع عليه أحد. هذا الباب يجمع محاور الصوم: خصوصيته عند الله، أثره في المغفرة، بابه المخصص في الجنة، شرط قبوله، وآدابه في السحور والفطر.

١. الصوم لله خاصة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده، نخلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح صائم.

المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه". (متفق عليه)

في كل عملٍ نصيبٌ للنفس من الرياء أو الفخر، إلا الصوم؛ فلا أحد يرى الجوع والعطش المكتوم إلا الله، ولذلك اختصّه لنفسه دون سائر الأعمال، وجعل جزاءه بلا حساب.

٢. مغفرة الذنوب بصيام رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدّم من ذنبه". (متفق عليه)

قيدان لا يُستغنى عنهما: إيمانٌ يصدّق فرضيّته، واحتسابٌ يطلب به وجه الله لا العادة؛ فمن صام بهذين القيدين خرج من رمضان كيوم ولدته أمه.

٣. باب الريّان

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة باباً يقال له الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم،

يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد". (متفق عليه)

بابٌ باسمٍ يناسب أصحابه: من صبر على الظمِّ في الدنيا، يُدعى إلى باب "الريّان" في الآخرة؛ وحين يُغلق خلفهم، يعلمون أن صبرهم لم يذهب هباءً.

٤. شرط قبوله: ترك قول الزور

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه". (رواه البخاري)

تحذيرٌ لا يحتمل التأويل: الصوم ليس امتناعاً عن الطعام فحسب، بل تهذیباً للسان والجوارح؛ فمن صام بطنه وأطلق لسانه بالكذب والزور، فقد فاته جوهر الصيام وإن ظل جائعاً.

٥. بركة السحور

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "تسحّروا، فإن في السحور بركة". (متفق عليه)

لقمةً في آخر الليل قد تبدو يسيرة، لكن النبي ﷺ سمّاها بركة؛ فهي تُعين الجسد على يوم طويل، وتُبقي فارقاً بين صوم المسلمين وصوم من لا يتسحر.

٦. تعجيل الفطر

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر". (متفق عليه)

ليست العبادة في تطويل الجوع بلا داع، بل في اتباع السنة كما جاءت؛ فتعجيل الفطر عند تحقق غروب الشمس علامةٌ على خيرٍ لا على تفريط.

٧. صيام يوم في سبيل الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً". (متفق عليه)

بهذا يُنْتَم هذا المحور على أجرٍ يتجاوز حدود رمضان: فحتى صيام التطوع، إذا اقترن بالجهاد، كان بُعداً عن النار يُقاس بالأعوام لا بالأيام.

٨. تفتح أبواب الجنة في رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين". (متفق عليه)

شهرٌ تُتغير فيه موازين الغيب نفسها: أبوابٌ تُفتح، وأبوابٌ تُغلق، وشياطينٌ تُقيد، فمن لم يغتنم هذا الشهر بعينه، فأَي شهرٍ سيغتنم؟

٩. من قام رمضان إيماناً واحتساباً

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدّم من ذنبه". (متفق عليه)

كما غُفر للمصائم بصيامه، يُغفر للقائم بقيام ليلائه؛ فرمضان يجمع للعبد فرصتين للمغفرة في شهرٍ واحد: نهاره بالصوم، وليله بالقيام.

١٠. النهي عن الوصال في الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن الوصال، فقال رجلٌ من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله! قال: "وأيكم مثلي؟ إني أبيتُ يُطعمني ربي ويسقيني". (متفق عليه)

منع أصحابه مما أباحه لنفسه؛ فحتى في العبادة، لم يُرد لهم أن يتحمّلوا ما لا طاقة لهم به، وإن كانت له حالٌ خاصة لا يُقاس عليها غيره.

١١. صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له". (متفق عليه)

بهذا يُختم باب الصوم: فبداية الشهر ونهايته منوطتان برويةٍ حسية لا بحسابٍ مجرد، وفي حال الغيم يُكَلِّل العدد احتياطاً، رحمةً بيقين العبادة.

باب الحج

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل التاسع، يختتم القسم الثاني: العبادات

آخر أركان الإسلام الخمسة، وأثقلها بدنًا ومالًا؛ رحلةٌ يجتمع فيها كل ما سبق من عبادات: طهارةٌ، وصلاةٌ في أقدس بقاع الأرض، وصدقةٌ، وصبرٌ يشبه الصوم. هذا الباب يجمع محاور الحج: فرضيته وحدوده، أجره العظيم، تلبيته، ومنسكه، وخاتمته في خطبة الوداع التي جمعت مقاصد الدين كله.

١. الحج المبرور جزاؤه الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة". (متفق عليه)

جزاءٌ لا يُقاس بمقاييس الدنيا؛ فسائر الأعمال لها أجرٌ محدود، أما الحج المبرور فجزاؤه مفتوحٌ لا سقف له إلا الجنة نفسها.

٠٢ من حج فلم يرفث ولم يفسق

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه". (متفق عليه)

عودةً إلى نقطة الصفر، كأن العمر لم يبدأ بعد؛ لكن الشرط واضح: حجٌّ خالٍ من الرفث والفسوق، لا مجرد أداء المناسك بجسدٍ غافل القلب.

٠٣ فرضيته مرة واحدة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا". فقال رجل: أكل عامٍ يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم". ثم قال: "ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيءٍ فدعوه". (رواه مسلم)

في هذا الحديث درسٌ يتجاوز الحج نفسه: رحمةٌ في التشريع تأبى أن تُثقل على الناس بما لا يطيقون، وتحذيرٌ من كثرة السؤال الذي أهلك من قبلنا.

٤. التلبية

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن تلبية رسول الله ﷺ كانت: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك". (متفق عليه)

كلهات يُردّها الحاج من أول خطوةٍ في إحرامه؛ إقراراً بالتوحيد يتردد صداه في كل وادٍ يمر به، حتى يصل البيت وقد استقر في قلبه ما استقر على لسانه.

٥. خذوا عني مناسككم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في وصف حجة النبي ﷺ، قال فيها: "خذوا عني مناسككم". (رواه مسلم)

لم يترك النبي ﷺ للاجتهاد مجالاً في صفة النسك؛ فأراد أن يؤخذ الحج عنه كما فعله بنفسه، لا كما يظنه كل أحد بعقله.

٦. خطبة الوداع: حرمة الدماء والأموال والأعراض

عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا". (متفق عليه)

بهذا يُعلق باب الحج، بل يُعلق القسم الثاني كله (العبادات): فآخر ما وقف عليه النبي ﷺ في أعظم اجتماع لأُمته، لم يكن تفصيلاً في منسك، بل تذكيراً بأن العبادة كلها تصبّ في غايةٍ واحدة — أن تُحفظ كرامة الإنسان: دمه، وماله، وعرضه.

٧. العمرة في رمضان تعدل حجة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لامرأةٍ من الأنصار لم تستطع الحج معه: "إذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرةً فيه تعدل حجة". (متفق عليه)

من عجز عن نفقة الحج أو مشقته، فتح الله له باباً آخر في متناوله: عمرةً في رمضان، يُعادل أجرها أجر الحج نفسه.

٨. يوم عرفة

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "ما من يومٍ أكثر من أن يُعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة". (رواه مسلم)

بهذا يُختتم باب الحج: يومٌ واحدٌ في العام، تكثر فيه عتاقة الله لعباده من النار أكثر من أي يومٍ سواه؛ فمن وقف بعرفة، وقف في أرجى ساعةٍ يعرفها المسلمون.



القسم الثالث

القلب والأخلاق



باب الإخلاص والصدق

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل العاشر، يفتح القسم الثالث: القلب والأخلاق

بعد أن عرف القلب عبادته، يبقى سؤال أدق: لمن يعمل؟ فقد يؤدي العبد الصلاة والزكاة والصوم والحج، ثم يخسرها كلها إن لم يكن قلبه صادقاً مع من يعمل له. هذا الباب يفتح القسم الثالث بجوهر كل عملٍ صالح: النية، والإخلاص، والصدق.

١. إنما الأعمال بالنيات

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". (متفق عليه)

فعلٌ واحدٌ ظاهراً، قد يكون عند الله عملين متناقضين تماماً؛ فالهجرة نفسها، بجسدٍ واحدٍ وطريقٍ واحد، تُقبل عند قومٍ وتُردّ عند آخرين، والفارق كله في نيةٍ لا يراها

أحد سوى صاحبها وربّه.

٢. أول من تُسعر بهم النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار". (رواه مسلم)

ثلاثة من أعظم الأعمال ظاهراً: جهادٌ، وعلمٌ، وكرمٌ؛ ومع ذلك كانوا أول من يُساق إلى النار، لأن العمل العظيم بلا إخلاصٍ لا يزنه شيءٌ. مفزعٌ أن يكون هذا مصير من

ظاهرهم البطولة، فكيف بمن عمله أقل منهم؟

٣. الله ينظر إلى القلوب لا الصور

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". (رواه مسلم)

كل ما يُقَيَّم به الناس بعضهم - الشكل، والمال، والمظهر - لا وزن له عند الله؛ فالميزان الوحيد المعتمد عنده هو ما لا يراه أحدٌ سوى صاحبه: القلب، وما صدر عنه من عمل.

٤. الصدق يهدي إلى البر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً". (متفق عليه)

طريقان متقابلان، وكل خطوةٍ فيهما تُقَرَّبُ من نهايتها: صدقٌ يتراكم حتى يصبح صفةً ثابتةً، وكذبٌ يتراكم حتى يصبح هو الآخر صفةً ثابتةً؛ والعبد يختار طريقه بكل كلمةٍ يقولها.

٥. من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله". (متفق عليه)

الفعل الظاهر واحد، لكن الحكم عليه يعود إلى غايته وحدها؛ فبهذا يُحتم هذا المحور: العمل بلا نيةٍ صادقةٍ قشرٌ بلا لبٍّ، مهما بدا عظيمًا في عيون الناس.

٦. من سمع سمع الله به

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من سمع، سمع الله به، ومن يرأى، يرأى الله به". (متفق عليه)

جزاءً من جنس العمل: من أراد أن يُسمع الناس عمله ليدحوه، فضحه الله على رؤوس الأشهاد؛ فما يظنه العبد سترًا لرياءٍ خفي، ينكشف يوم لا ينفع فيه السترة.

٧. صدقةٌ في يد سارقٍ وزانيةٍ وغني

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "قال رجل: لأُتصدقَ الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، لأُتصدقَ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد، لأُتصدقَ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق على غني! فقال: اللهم لك الحمد على سارقٍ وزانيةٍ وغني. فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله". (متفق عليه)

بهذا يُختم الباب: لم يُعاقب صاحب الصدقة على ظاهر الخطأ في اختيار من يستحق، لأن قصده كان صادقاً، فحسبه أنه أخرج ما نوى إخراجه، والباقي على الله وحده.

باب الصبر والشكر

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الحادي عشر، القسم الثالث: القلب والأخلاق

حياة الإنسان لا تخلو من حالين: نعمة تستوجب شكراً، أو بلاءٌ يستوجب صبراً. ولم يترك النبي ﷺ للمؤمن حالاً ثالثاً يخسر فيه؛ فكلما الحالين عنده مكسب، إن أحسن التعامل معهما.

١. عجباً لأمر المؤمن

عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". (رواه مسلم)

معادلةٌ لا يملكها إلا المؤمن: مهما تقلبت به الأحوال، فكل طريقٍ ينتهي به إلى خير؛ فلا وجود عنده لحالٍ خاسرة، إن هو أحسن الاستجابة لكل ما يُصيبه.

٢. الصبر عند الصدمة الأولى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: مرّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبر، فقال: "اتقي الله واصبري". قالت: إليك عني، فإنك لم تُصب بمصيبتي! ولم تعرفه، فقل لها: إنه النبي ﷺ. فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى". (متفق عليه)

لم يعاتبها النبي ﷺ على جهلها به، بل صحّح لها مفهوم الصبر نفسه: فالصبر الحقيقي ليس في الاستسلام بعد أن يهدأ الألم، بل في اللحظة الأولى التي يصعب فيها كل شيء.

٣. من يتصبر يصبره الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ومن يستعفف يُعِفِّه الله، ومن يستغن يُغْنِه الله، ومن يتصبر يُصْبِرْه الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر". (متفق عليه)

الصبر ليس صفةً يُولد بها الإنسان، بل عملٌ يبدأ بنفسه؛ فمن أجبر نفسه على الصبر ولو تكلفاً، أعانه الله حتى يصير الصبر سجيّة لا تكلفاً.

٤. تكفير الخطايا بالبلاء

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها". (متفق عليه)

حتى أصغر الآلام لا يذهب هباءً؛ فشوكةٌ تحزّ إصبع المؤمن قد تكون سبباً في محو ذنبٍ لم يكن يظن أنه سيُغفر له بغير توبة.

٥. الحمد على الأكل والشرب

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". (رواه مسلم)

لا يحتاج الشكر إلى نعمةٍ عظيمة يُقال؛ فلقمةٌ واحدة، إن أعقبتها كلمة حمد، كانت كافيةً لرضا الله عن عبده.

٦. انظروا إلى من هو أسفل منكم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور على العلاج العملي لمن يصعب عليه الشكر: ليس بمقارنة نفسه بمن هو أوفر منه نعمة، بل بالنظر إلى من هو أقل؛ حينها يكتشف كم نعمة كان يظنها بديهية.

٧. من يرد الله به خيراً يصب منه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من يُرد الله به خيراً يُصب منه". (رواه البخاري)

عكس ما يظنه كثيرون: البلاء هنا علامة خير لا غضب؛ فإصابة العبد بمكروه قد تكون دليلاً على أن الله أراد به خيراً، لا أنه تخلى عنه.

٨. أهل الجنة: كل ضعيف متضعف

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره". (متفق عليه)

بهذا يُختم الباب: من يراه الناس ضعيفاً لا شأن له، قد يكون عند الله في مكانةٍ لو أقسم فيها لأبر الله قسمه؛ فالصبر على الضعف الظاهر قد يخفي قوةً باطنة عند الله.

باب الحياء والتواضع

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثاني عشر، القسم الثالث: القلب والأخلاق

خُلِقَ القلب يحرسان القلب من داخله قبل أن يحرسه القانون من خارجه: حياءٌ يمنع الجوارح، وتواضعٌ يمنع الكبر من أن يسكن الصدر. وقد جعل النبي ﷺ التواضع أمراً إلهياً لا خُلُقاً اختيارياً، وحذّر من الكبر ولو بمثقال ذرة.

١. الأمر الإلهي بالتواضع

عن عياض بن حمار رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد". (رواه مسلم)

ليس التواضع نصيحةً أخلاقيةً عامة، بل وحيٌّ صريحٌ، فحين يتساوى الناس في نظر بعضهم لبعض، ينقطع الفخر الذي يُفسد القلوب، ويرتفع البغي الذي يُفسد المجتمعات.

٢. من تواضع لله رفعه الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله". (رواه مسلم)

معادلةٌ معكوسةٌ عمّا يظنه الناس: من خفض نفسه طلباً لرضا ربه، رفعه الله في أعين الخلق قبل أن يرفعه في الآخرة؛ فالتواضع طريقٌ إلى العلوّ لا إلى الضّعة.

٣. حقيقة الكبر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر". فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. فقال: "إن الله جميلٌ يحب الجمال؛ الكبر بطر الحق وغمط الناس". (رواه مسلم)

فرّق النبي ﷺ بين حب الجمال -وهو فطرة لا لوم فيها- وبين الكبر الحقيقي: ردّ الحق حين يُعرض، واحتقار الناس مهما كانت منزلتهم؛ فالثوب الحسن لا يدخل صاحبه النار، لكن القلب المتكبر يمنع دخول الجنة.

٤. لا يحقر أحدكم أخاه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال ضمن حديث أطول: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره... بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم". (متفق عليه)

يكفي أن تحتقر مسلماً واحداً لتكون شريراً في هذا الميزان، ولو لم تظلمه بشيء آخر؛ فالتكبر لا يُشترط فيه فعلٌ ظاهر، يكفي أن يستقر في القلب نظرة دونية لأحد.

٥. من كلام النبوة الأولى: الحياء

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". (رواه البخاري)

ليس أمراً بالإباحة كما قد يُظن للوهلة الأولى، بل تحذير عميق: من فقد الحياء لم يعد له رادعٌ داخلي يمنعه، فصار كأنه مأذونٌ له في كل شيء؛ فالحياء هو الحارس الذي يعمل حين تغيب الرقابة الخارجية كلها.

٦. أشد حياءً من العذراء في خدرها

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه". (متفق عليه)

لم يكن حياؤه ﷺ ضعفاً يمنعه عن الحق، بل رقةً تظهر في وجهه قبل لسانه؛ فكان الصحابة يقرؤون رفضه من ملامحه دون أن يحتاج إلى توبيخ صريح.

٧. لو دُعيت إلى ذراعٍ لأجبت

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لو دُعيت إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبت، ولو أهدني إليّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلت". (رواه البخاري)

بهذا يُختم الباب: لم يستكبر النبي ﷺ عن أقل الهدايا وأبسط الدعوات، مع علوّ منزلته؛ فالتواضع الحقيقي يظهر في قبول القليل لا في انتظار الكثير فقط.

باب الغضب وضبط النفس

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثالث عشر، يختم القسم الثالث: القلب والأخلاق

يختم هذا الباب القسم الثالث بأصعب اختبارٍ للقلب: لحظة الغضب، حين تنكشف حقيقة ما تربى عليه الإنسان من إخلاصٍ وصبرٍ وتواضع. فمن ضبط نفسه في تلك اللحظة، أثبت أن كل ما سبق من أخلاقٍ لم يكن كلاماً فقط.

١٠. ليس الشديد بالصرعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". (متفق عليه)

عرّف النبي ﷺ القوة تعريفاً يقلب المألوف: ليست في قوة الساعد التي تصرع الخصوم، بل في قوة أخفى وأصعب، تُمارَس على النفس وحدها في لحظةٍ لا يراقبها أحد.

٢. لا تغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: "لا تغضب". فردّد مراراً، قال: "لا تغضب". (رواه البخاري)

طلب الرجل وصيةً جامعة، فلم يُثقل عليه النبي ﷺ بقائمة أخلاق، بل اختصرها في كلمتين؛ لأن من ملك غضبه، ملك تبعاً له كثيراً من الذنوب التي تُرتكب في لحظة الغضب وحدها.

٣. الاستعاذة من الشيطان عند الغضب

عن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه، فقال النبي ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". (متفق عليه)

لم يأمره النبي ﷺ بكبت غضبه بالقوة، بل دلّه على علاج من مصدر الداء نفسه؛ فالغضب الحاد باب يدخل منه الشيطان، والاستعاذة إغلاقٌ لذلك الباب.

٤. ما انتقم رسول الله لنفسه قط

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تُتَهَكَّ حرمة الله، فينتقم لله". (متفق عليه)

القدوة العملية لكل ما سبق: رجلٌ عاش بين الناس عشرات السنين، تعرّض فيها لأذى كثير، ومع ذلك لم يأخذ لنفسه حقًا شخصيًا قط؛ فكان غضبه محصوراً فيما يخص الله وحده، لا فيما يخص نفسه.

٥. لا يقضي القاضي وهو غضبان

عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يحكم الحكم بين اثنين وهو غضبان". (متفق عليه)

بهذا يُغلق هذا المحور على أثرٍ عملي واضح: الغضب لا يُفسد الأخلاق فقط، بل يُفسد الحكم والعقل أيضاً؛ فمن أراد أن يقضي بالعدل، فلينتظر حتى يهدأ.

٦. لا تباغضوا ولا تحاسدوا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً". (متفق عليه)

بهذا يُختم باب الغضب وضبط النفس: خمسة نواهٍ متتالية، كلها تحصّن القلب قبل أن يصل إلى الغضب أصلاً؛ فن قطع أسباب الحسد والتدابير، وجد نفسه أبعد ما يكون عن الغضب حين تقع أسبابه المعتادة.



القسم الرابع

المعاملات



باب الأسرة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الرابع عشر، يفتح القسم الرابع: المعاملات

بعد أن استقام القلب بالإخلاص والصبر والتواضع، ينتقل الكّاتب من عالم الباطن إلى عالم المعاملة؛ وأول من يلقاه الإنسان في هذا العالم أسرته: والدان حملاه قبل أن يعرف نفسه، وأرحامٌ تمتد منه، وزوجةٌ يسكن إليها. هذا الباب يجمع حقوق هذه الدائرة الأولى.

١٠١. بر الوالدين: الأم ثلاثاً ثم الأب

عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أبوك". (متفق عليه)

كرّرها ثلاثاً قبل أن يذكر الأب مرة؛ ليس تقليداً من حق الأب، بل تعظيماً لحقّ لا يُقاس بحق: تسعة أشهر حملٍ، وليالي سهرٍ، لا يفي بها عمرٌ كامل من البر.

٢. من أدرك والديه ولم يدخل الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "رغم أنف رجلٍ، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه". قيل: من يا رسول الله؟ قال: "من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة". (رواه مسلم)

دعاءً بالذلة يتكرر ثلاثاً على من كانت أمامه أسهل فرصة لدخول الجنة -والداه في كبرهما يحتاجان رعايته- فأضاعها؛ فما أشد الخسارة أن يُهدر أقرب طريقٍ إلى الجنة إهماًلاً.

٣. صلة الرحم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه". (متفق عليه)

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "الرحم معلّقةٌ بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله". (متفق عليه)

صلة الرحم ليست فضيلةً اجتماعيةً فحسب، بل سببٌ مباشرٌ في سعة الرزق وطول الأثر؛ وقد جعلت الرحم نفسها -لا صاحبها فقط- خصماً أو شافعاً عند الله.

٤. قطع الرحم مانع من الجنة

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة قاطع" -يعني قاطع رحم-. (متفق عليه)

تحذيرٌ لا لبس فيه؛ فكل عبادةٍ قد تُقبل مع تقصيرٍ في غيرها، إلا قطيعة الرحم فإنها وحدها كفيلةٌ بحرمان صاحبها.

٥. حق الزوجة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمته كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً". (متفق عليه)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة". (رواه مسلم)

تحذيرٌ من محاولة "تقويم" الطرف الآخر بالقسوة، وترغيبٌ في تقدير ما لا يُقوّم بشئ: رفيقة عمرٍ صالحة، وصفت بأنها خير ما تحمله الدنيا كلها من متاع.

٥٦. اتقوا الله في النساء

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع: "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله". (رواه مسلم)

في أعظم اجتماعٍ لأُمته، لم ينسَ النبي ﷺ أن يذكر الرجال بأن الزواج أمانةٌ من الله، لا ملكيةٌ تُدار كيفما شاء صاحبها.

٥٧. نفقة الرجل على أهله صدقة

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله وهو يحتسبها، كانت له صدقة". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور على إشارة تليق بمن يُتعب نفسه في إعالة أسرته: فالنفقة التي قد يظنها البعض واجباً محضاً بلا أجر، هي صدقةٌ جاريةٌ إن احتسبها صاحبها عند الله.

٨. المحجّاب من النار بالبنات

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "من ابْتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهن، كنَّ له سترًا من النار". (متفق عليه)

في زمنٍ كانت البنت فيه تُؤاد أو يُتشاءم بها، جعل النبي ﷺ الإحسان إليهن سبباً في الوقاية من النار؛ فرعاية البنات ليست عبئاً يُحتمل، بل استثمارٌ لآخرة صاحبه.

٩. لا يفرّك مؤمنٌ مؤمنةً

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يفرّك مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر". (رواه مسلم)

لم يطلب النبي ﷺ من الزوج كمالاً لا يوجد في البشر؛ فمن كره خصلةً في زوجته، فليذكر خصلاً أخرى فيها ترضيه، فلا ينظر إلا إلى ما يرضه وحده.

١٠. من لا يرحم لا يُرحم

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ يُقبل الحسن، فقال: إن لي عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحداً! فقال رسول الله ﷺ: "من لا يرحم لا يُرحم". (متفق عليه)

استغرب الأقرع من عاطفةٍ ظنّها ضعفاً، فجاء الجواب حاسماً: من حرم قلبه الرحمة تجاه صغاره، حُرْم هو نفسه من رحمةٍ ينتظرها.

١١. أنا وكافل اليتيم كهاتين

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" -وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً-. (رواه البخاري)

بهذا يُختم باب الأسرة: من ضمّ يتيماً لا أهل له إلى أسرته، ناله قربٌ من النبي ﷺ
في الجنة لا يكاد يفصل بينهما إلا كصبعين متجاورتين.

باب الجيرة والمجتمع

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الخامس عشر، القسم الرابع: المعاملات

بعد الأسرة، تتسع الدائرة إلى الجار الذي لم يختره الإنسان، والمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه. وقد بالغ النبي ﷺ في التأكيد على حق الجار حتى ظن الصحابة أنه سيُشرع له ميراثاً، وجعل المؤمنين جسداً واحداً يتألم كله لألم عضو فيه.

١. وصية جبريل بالجار

عن عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ قال: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". (متفق عليه)

تكرار الوصية حتى ظن النبي ﷺ التورث، أبلغ من أي تفصيل في الحقوق، فحق الجار ليس بنداً في قائمة الأخلاق، بل قريب من قرابة الدم في منزلته عند الله.

٢. لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه

عن أبي شُرَيْحٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن". قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه". (رواه البخاري)

قسمٌ مكرراً ثلاثاً لنفي الإيمان عمن لا يأمن جاره شرّاً؛ فالإيذاء لا يُقاس هنا بحجم الضرر، بل بمجرد أن يعيش الجار في قلقٍ من جاره.

٣. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه". (رواه البخاري)

تعريفٌ عمليٌّ للمسلم لا يحتاج شهادةً ولا لقباً؛ فالمعيار الأول الذي يلبسه الناس فيمن حولهم هو سلامتهم من أذاه، لا مجرد انتسابه للدين.

٤. المؤمن للمؤمن كالبنيان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "المؤمن للمؤمن كالبنیان يشدّ بعضه بعضاً" -وشبكّ بين أصابعه-. (متفق عليه)

لا قيمة لحجرٍ منفردٍ في البناء، وإنما قوته في تماسكه مع غيره؛ وكذلك المؤمن، لا تكتمل قوته إلا بإخوانه.

٥. مثل المؤمنين كالجسد الواحد

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". (متفق عليه)

ليس التراحم بين المؤمنين خياراً اجتماعياً، بل استجابةٌ لا إرادية كاستجابة الجسد لألم أحد أعضائه؛ فإلم أخيك ينبغي أن يُقلقك كما يُقلقك السهر والحمى.

٦. من نفس عن مؤمن كربة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من نفّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". (رواه مسلم)

معادلةٌ يعرضها النبي ﷺ بوضوح: عون الله للعبد مرهونٌ بعون العبد لأخيه؛ فمن أراد فرجاً من كربته، فليكن سبباً في فرج كرب غيره أولاً.

٧. حق المسلم على المسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم ست"، قيل: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتّبعه". (رواه مسلم)

بهذا يُختم هذا المحور على قائمةٍ عملية لا تحتاج تأويلاً: ستّ لحظاتٍ يومية بسيطة، إن حفظها المسلم مع إخوانه، كان قد أدّى حقهم عليه كاملاً.

٨. لا تحقرن من المعروف شيئاً

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق". (رواه مسلم)

أدنى صور المعروف عند النبي ﷺ ليست هبةً ولا معونةً مادية، بل وجهٌ منبسط عند اللقاء؛ فما لا يكلف شيئاً من المال قد يكون كافياً ليُحتسب معروفاً عند الله.

٩. كل معروف صدقة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "كل معروف صدقة". (رواه البخاري)

بهذا يُختتم باب الجيرة والمجتمع: لا حصر لأبواب الصدقة في المال وحده؛ فكل فعل خير، مهما بدا بسيطاً أو غير مادي، صدقةٌ عند الله.

باب البيع والمال

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل السادس عشر، القسم الرابع: المعاملات

في السوق، حيث تختلط النيات بالأرباح، وضع النبي ﷺ ميزاناً دقيقاً: صدق يُبارك فيه، وكذبٌ تُمحق بركته، وكسبٌ باليد أشرف من مدِّ اليد للسؤال، وظلمٌ للأجير خصومةٌ مع الله نفسه.

١. البيعان بالخيار

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا -أو قال: حتى يتفرقا-، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما". (متفق عليه)

قد يرح البائع بالكذب مალًا ظاهرًا، لكنه يخسر بركةً لا تُرى؛ فرقمٌ أكبر في الحساب لا يعني بالضرورة خيرًا أوفر في الكسب.

٢. من غشّ فليس منّا

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ مرّ على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني". (رواه مسلم)

لم يكتفِ النبي ﷺ بالنظر إلى ظاهر السلعة، بل أدخل يده ليتحقق بنفسه؛ فالغش لا يكون فقط بالكذب في الكلام، بل بإخفاء عيبٍ يعرفه صاحب السلعة ويجهله المشتري.

٣. الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الحلف منفقة للسلعة، مُمَحَقَّةٌ للبركة". (متفق عليه)

قد تُروّج السلعة بيمينٍ متكرر، لكن ما يكسب بالحلف الكاذب يُمحَق أثره ولو بدا رائجاً للوهلة الأولى.

٤. من أخذ أموال الناس يريد أداءها

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله". (رواه البخاري)

النية هنا حاسمة كما في كل عمل: دَيْنٌ واحد، بنيةٍ مختلفة، قد يكون سبباً في توفيق الله لصاحبه أو سبباً في هلاكه.

٥. الكسب باليد خيرٌ من السؤال

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه". (رواه البخاري)

كرامة العمل اليدوي الشاق، مهما بدا متواضعاً، أعلى من ذل السؤال ولو أُعطي صاحبه بسخاء؛ فالوجه الذي لا يُذل بالسؤال أعلى من راحةٍ يشتريها الذل.

٥٦. النهي عن الاحتكار

عن معمر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يحتكر إلا خاطئ". (رواه مسلم)

من أدخر ما يحتاجه الناس انتظاراً لارتفاع سعره، لم يكن تاجراً حاذقاً فحسب في نظر الشرع، بل آثماً يتربص بحاجة إخوانه.

٥٧. لعن أكل الربا وموكله

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه"، وقال: "هم سواء". (رواه مسلم)

لم تقتصر اللعنة على من يأخذ الربا، بل شملت كل من أعان على تحقيقه؛ فالمسؤولية في المال الحرام لا تقف عند طرفٍ واحد.

٥٨. ظلم الأجير حقه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره". (رواه البخاري)

بهذا يُختم هذا المحور على أشد أنواع الظلم في المال: من استوفى جهد أجيرٍ كاملاً ثم بخسه حقه، لم يكن خصمه صاحب العمل وحده، بل الله نفسه.

٩. أفضل الكسب: عمل اليد

عن المقدام بن معدى كرب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما أكل أحد طعماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده". (رواه البخاري)

جعل النبي ﷺ نبياً كريماً مثلاً على شرف العمل اليدوي؛ فلم يكن داود عليه السلام، مع ملكه ونبوته، يستنكف عن أن يأكل من كسب يده هو.

١٠. لا يُمنع فضل الماء

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يُمنع فضل الماء لُمنع به الكلاء". (متفق عليه)

بهذا يُختتم باب البيع والمال: حتى الملكية الخاصة لها حدود لا تتجاوزها إن كان في ذلك ضررٌ بحاجة الآخرين الأساسية؛ ففائض الماء ليس أداة سيطرة على من يحتاجه.

باب القضاء والعدل

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل السابع عشر، يختم القسم الرابع: المعاملات

يختم هذا الباب المعاملات كلها بالميزان الذي يُحتكم إليه حين تتنازع الحقوق: العدل. وقد أعلن النبي ﷺ أن الظلم محرمٌ على الله نفسه فكيف يُبيحه لعباده، وضرب أعلى مثالٍ على المساواة أمام الحق حين تعلّق الأمر بأقرب الناس إليه.

١. القاضي بشرٌ يخطئ ويصيب

عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع؛ فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار". (متفق عليه)

حتى قضاء النبي ﷺ نفسه مبنيٌّ على الظاهر لا على الغيب؛ فبراعة الخصم في الجدل قد تُميل الحكم لصالحه ظاهراً، لكنها لا تُحلّ له ما ليس حقّاً له عند الله.

٢. اليمين على المدعى عليه

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "لو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى رجالُ أموال قومٍ ودماءهم، ولكن اليمين على المدعى عليه". (متفق عليه)

لو كان مجرد الادعاء كافياً لأخذ الحقوق، لسقط النظام كله؛ فوضع الشرع القاعدة العادلة: من ادّعى فعليه الدليل، ومن أنكر عليه فعليه اليمين.

٣. تحريم الله الظلم على نفسه

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: "يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا". (رواه مسلم)

إذا كان الله -القادر على كل شيء- قد حرّم الظلم على نفسه تَكْرَماً وعدلاً، فكيف يليق بعبدٍ ضعيفٍ لا يملك من أمره شيئاً أن يظلم من هو مثله؟

٤. الظلم ظلماتٌ يوم القيامة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة". (رواه مسلم)

قد يبدو الظلم في الدنيا قوةً وسيطرة، لكنه في الآخرة يتحول إلى عتمةٍ تحيط بصاحبها؛ فمن ظلم في النور، مشى في الظلام يوم لا ينفع فيه نور إلا نور الأعمال الصالحة.

٥. المساواة أمام الحد

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: "أُتشفع في حدٍّ من حدود الله؟" ثم قام فخطب، فقال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". (متفق عليه)

لم يستثنِ النبي ﷺ حتى ابنته من هذا الميزان؛ فجعل من نفسه ومن أقرب الناس إليه القدوة العملية على أن القانون لا يعرف شريفاً ولا ضعيفاً، وإنما يعرف الحق وحده.

٦. الإمام العادل

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال ضمن حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله: "إمامٌ عادل...". (متفق عليه)

بهذا يُغلق باب القضاء والعدل، بل يُغلق القسم الرابع كله (المعاملات): فمن تولى أمر الناس بالعدل، كان أول من ينال ظل الله يوم لا ظل إلا ظله؛ فالعدل ليس فضيلةً بين فضائل، بل هو العمود الذي تقوم عليه كل معاملةٍ سبقت في هذا القسم: بين الزوجين، والجيران، والمتبايعين، وأخيراً بين الحاكم والمحكوم.

٧. خير الشهداء

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها". (رواه مسلم)

بهذا يُختم باب القضاء والعدل، ويُختم القسم الرابع كله: خير من يقوم بالحق من
يبادر إليه دون أن يُطلب منه، لا من ينتظر أن يُستدعى ليقوله.



القسم الخامس

العلم والدعوة



باب العلم والدعوة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثامن عشر، القسم الخامس: العلم والدعوة

بعد أن استقرت المعاملات بين الناس، يبقى سؤال الامتداد: كيف يصل هذا الدين إلى من لا يعرفه بعد، وكيف يبقى العلم به حياً من جيلٍ إلى جيلٍ؟ هذا الباب يجمع فضل طلب العلم، وأجر تبليغه، ولو كان القدر المبلغ آيةً واحدة.

١. من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين". (متفق عليه)

جعل النبي ﷺ الفقه في الدين علامةً على إرادة الله الخير بصاحبه، فمن وجد في نفسه شوقاً للفهم لا الحفظ وحده، فليعلم أن ذلك بشارةٌ لا مجرد رغبة عابرة.

٢. من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة". (رواه مسلم)

طريقان يلتقيان: طريقٌ حسيٌّ يمشيه طالب العلم بقدميه، وطريقٌ آخرٌ معنويٌّ يسهّله الله له نحو الجنة؛ فكل خطوةٍ في الأول أثرٌ في الثاني.

٣. بلغوا عني ولو آية

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". (رواه البخاري)

لم يشترط النبي ﷺ في المبلِّغ أن يكون عالماً موسوعياً؛ فأيةٌ واحدة صادقة كافية لتبليغ، مع تحذيرٍ شديد لمن يتجرأ على الكذب عليه.

٤. لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب يوم خيبر: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمْرِ النَّعَمِ".
(متفق عليه)

قارن النبي ﷺ بين هداية إنسانٍ واحدٍ وأثنى ما يملكه العرب من مال؛ فهداية نفسٍ واحدةٍ أثقل في الميزان من قطعان الإبل الحمراء كلها.

٥. الدال على انخير كفاعله

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله". (رواه مسلم)

لا يُشترط أن تكون صاحب الفعل لتنال أجره كاملاً؛ يكفي أن تكون السبب الذي دلَّ عليه، فيُكتب لك مثل ما يُكتب لفاعله دون أن ينقص من أجره شيء.

٦. من دعا إلى هدى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً؛ ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً". (رواه مسلم)

أثرُ يتوالد ولا ينتهي بموت صاحبه: كل من اهتدى بدعوته يُضيف إلى ميزانه، وكل من ضلّ بدعوته يُثقل ميزانه الآخر؛ فالدعوة مسؤوليةٌ ممتدة عبر الأجيال.

٧. يسّروا ولا تعسّروا

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا". (متفق عليه)

بهذا يُغلق باب العلم والدعوة: فالمعرفة وحدها لا تكفي إن لم تُقدّم بأسلوبٍ يسّر لا يعسر، ويبشّر لا ينفر؛ فكم من حقّ نفّر منه الناس لسوء طريقة عرضه.



القسم السادس

الغيب والآخرة



باب القدر

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل التاسع عشر، يفتح القسم السادس: الغيب والآخرة

يبدأ القسم الأخير بأدق مسائل الغيب وأكثرها التباساً على القلوب: القدر. وقد جعله النبي ﷺ في حديث جبريل ركنًا من أركان الإيمان الستة، لا مجرد مسألة نظرية، فمن آمن به حق الإيمان، لم يعيش حياته بين حسرةٍ على ماضٍ أو قلقٍ من مستقبل.

١. كل شيء بقدر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس" -أو الكيس والعجز-. (رواه مسلم)

لا يُستثنى شيءٌ من هذا الأصل، حتى صفات النفس الداخلية كالكسل والفطنة؛ فليس القدر محصوراً في الأحداث الخارجية وحدها.

٢. احرص على ما ينفعك ولا تقل لو

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير؛ احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن "لو" تفتح عمل الشيطان".
(رواه مسلم)

لم يجعل النبي ﷺ الإيمان بالقدر عذراً للكسل، بل أمر أولاً بالحرص والأخذ بالأسباب؛ فالقدر لا يُحتجَّ به إلا بعد وقوع الأمر، لا قبل السعي إليه. وكلمة "لو" وحدها كافية لتفتح على القلب باباً من الحسرة لا ينتهي.

٣. مراحل خلق الإنسان ومُكَّبة قدره

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملكُ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره،

إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". (متفق عليه)

قبل أن يُولد الإنسان، قبل أن يعرف اسمه أو وجهه، كُتب رزقه وأجله وعمله ومآله؛ ومع ذلك، لا يعرف أحدٌ ما كُتب له حتى يبلغه، فيبقى العمل هو الطريق الظاهر الوحيد الذي يسلكه، وإن كان الكتاب سابقاً عليه.

٤. لا تسبوا الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: "يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور على تنبيهٍ دقيق: من سبَّ الزمن حين تصيبه مصيبة، فإنما يسبَّ من يده تصريف الزمن كله؛ فالمصائب ليست عبثاً يصدر عن "الدهر" الأعشى، بل تديراً من يملك الليل والنهار جميعاً.

٥. احتجاج آدم وموسى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، ثم تلومني على أمرٍ قد كُتب عليّ قبل أن أُخلق؟ فحج آدم موسى". (متفق عليه)

جدلٌ بين نبيّين كريمين حول القدر والمسؤولية، ينتهي بحجة آدم: أن الذنب وقع منه باختياره، لكن كتابته سابقةً عليه في علم الله؛ فلا تناقض بين وقوع الفعل باختيار العبد وسبق كتابته عند ربه.

٦. لن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب". (متفق عليه)

بهذا يُختم باب القدر: قُدّر للإنسان طبعٌ لا يشبع من الدنيا مهما بلغ، ولن يملأَ نهْمه شيءٌ سوى الموت نفسه؛ فمن عرف هذا القدر في نفسه، هان عليه سعيه المحموم وراء

باب الموت والبرزخ

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل العشرون، القسم السادس: الغيب والآخرة

بعد القدر الذي يحكم الحياة كلها، يأتي حدّها الفاصل: الموت. لم يتركه النبي ﷺ غيباً مبهماً، بل وصف حال المؤمن عند لقاء ربه، وحذّر من تميّ الموت، وكشف عن أول ما يواجهه العبد في قبره.

١. من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه". فقالت: يا نبي الله، أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. قال: "ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضر بُشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه". (متفق عليه)

بين النبي ﷺ أن المقصود ليس الشعور الفطري عند الاحتضار -فذلك مشترك بين الجميع- بل حقيقة ما ينتظر العبد؛ فن استبشر بما بعد الموت، صحَّ أن يُقال إنه أحب لقاء الله.

٢. النهي عن تمني الموت

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يتمنَّ أحدكم الموت لضُرِّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي". (متفق عليه)

حتى في أشد لحظات الضيق، لم يفتح النبي ﷺ باب تمني الموت هروباً من الألم؛ بل علّم العبد أن يسلم الأمر لمن يعلم أين الخير: في الحياة أم في الوفاة.

٣. فتنة القبر وسؤال الملكين

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن العبد إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به

مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقةٍ من حديدٍ ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين". (متفق عليه)

أول سؤالٍ في القبر ليس عن المال ولا المنصب، بل عن رجلٍ واحد: من كنت تقول فيه؟ وإجابة هذا السؤال، صدقاً أو تقليداً، تفصل بين مقعدٍ من الجنة وضربةٍ لا يحتملها الثقلان لو سمعوها.

٤. الاستعاذة من عذاب القبر

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يدعو: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور: فالقبر ليس مرحلةً يُستهان بها، بل أول محطةٍ يستعيد منها المؤمن في صلاته كل يوم، قبل أن يبلغها فعلاً.

٥. شفاعة أربعين مصلين

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "ما من رجلٍ مسلمٍ يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه". (رواه مسلم)

بهذا يُختم باب الموت والبرزخ: حتى بعد موت العبد، لا ينقطع أمل الشفاعة له؛ فصلاة أربعين مؤمناً مخلصين على جنازته كفيلاً أن تكون شفاعةً مقبولة.

باب القيامة والجنة والنار

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الحادي والعشرون، القسم السادس: الغيب والآخرة

بعد القبر، يأتي اليوم الذي تُطوى فيه الدنيا كلها: يومٌ تدنو فيه الشمس من الرؤوس، ويُنصب فيه الصراط، ويُوضع فيه الميزان، ثم تنفرك الخلائق إلى دارين لا ثلاثة لهما. هذا الباب يجمع أهوال ذلك اليوم، وشفاعة النبي ﷺ فيه، ووصف الجنة والنار كما وردا في الصحيحين.

١٠. دنو الشمس من الرؤوس

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً". (رواه مسلم)

هولاً لا يتساوى فيه الناس؛ فالعرق نفسه ميزانٌ آخر، يغرق فيه بعضهم إلى الكعبين، ويلجَم فيه آخرون حتى الفم، بحسب ما قدّموا.

٢. الشفاعة العظمى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: أن الناس يوم القيامة يشتد بهم الكرب، فيأتون آدم يطلبون شفاعته فيعتذر، ثم نوحاً فيعتذر، ثم إبراهيم فيعتذر، ثم موسى فيعتذر، ثم عيسى فيعتذر ويدلّهم على محمد ﷺ. فيأتونه، فيقول: "أنا لها"، فيسجد تحت العرش ويحمد الله بحماد يفتحها الله عليه، ثم يُقال: "يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع"، فيشفع للخلق في فصل القضاء. (متفق عليه، ملخصاً لطوله)

كل الأنبياء يعتذرون، لا لعجزٍ في مقامهم، بل لأن هذا المقام ادّخره الله لخاتمهم؛ فيكون هو وحده من يُقال له: اشفع تُشفع.

٣. الصراط منصوبٌ على متن جهنم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ

أحدٌ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ". (متفق عليه)

جسرٌ فوق النار، والكلام فيه محصورٌ في دعاءٍ واحدٍ يتكرر: اللهم سَلِّمْ؛ فحتى الأنبياء، في تلك اللحظة، لا يملكون إلا أن يطلبوا السلامة.

٤. كلمتان ثقيلتان في الميزان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". (رواه البخاري)

ميزانٌ لا يزن بمقاييس الدنيا؛ فكلمتان لا تستغرقان لحظة من الوقت، قد تكونان أثقل ما يُوضع في كفة الحسنات يوم القيامة.

٥. أول من يدخل الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكبٍ دريٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون،

أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمَسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ". (متفق عليه)

وصفٌ يتجاوز خيال أهل الدنيا؛ نعيمٌ خالٍ من كل ما يُنْغَصُّ، وصورةٌ تليق بمن اختارهم الله ليكونوا أول الداخلين.

٦. أدنى أهل الجنة منزلة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجلٌ يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها فيُخِيلُ إليه أنها ملاءى، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملاءى! فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها". (متفق عليه)

حتى أدنى أهل الجنة منزلةً، ذلك الذي خرج من النار زحفاً، يُعطى مثل الدنيا وعشرة أمثالها؛ فما ظنك بمن هم فوقه؟

٧. رؤية الله في الجنة

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته". (متفق عليه)

بلا زحامٍ ولا حجاب؛ فرؤية الوجه الكريم، التي هي غاية كل ما سبق من عبادةٍ وصبرٍ وإخلاص، تأتي واضحةً كوضوح القمر ليلةً تمامه.

٨. صفة النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءً من سبعين جزءاً من نار جهنم". قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله! قال: "فُضِّلَتْ عليهن بتسعةٍ وستين جزءاً، كلهن مثل حرّها". (متفق عليه)

بهذا يُخْتَم هذا المحور على صورةٍ توازن بين الرجاء والخوف: نارٌ لا تُقَارَن بنار الدنيا مهما بلغت، وجنةٌ لا يُقَارَن نعيمها بأي نعيمٍ يعرفه أهل الأرض، فلا مكان بينهما للاستهانة بعملٍ صغيرٍ أو ذنبٍ يُحتقر.

٩. أهل الغرف يتراءون كالكوكب الدري

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم". قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين". (متفق عليه)

حتى داخل الجنة درجات متفاوتة، يُرى أعلاها من أدناها كما يُرى الكوكب النائي؛ ومع ذلك، ليست حكراً على الأنبياء وحدهم، بل يبلغها كل من صدق في إيمانه واتباعه.

١٠. الجنة أقرب من شراك النعل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك". (رواه البخاري)

مسافة لا تُقاس بالأُميال بل بلحظةٍ من عمل: كلمةٌ أو فعلٌ واحد قد يفصل بين العبد وأيّ من الدارين، أقرب من أن يربط شراك نعله.

١١. حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ". (رواه مسلم)

طريق الجنة محفوفٌ بما تكرهه النفس: صبرٌ وصومٌ وجهادٌ، وطريق النار محفوفٌ بما تشتهيهِ: راحةٌ ولذةٌ ومعصيةٌ؛ فمن أراد الجنة، فليتوقع أن طريقها لن يكون سهلاً.

١٢. مَنْ مَاتَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ". (رواه مسلم)

بهذا يُخْتَمُ بابُ القيامة والجنة والنار: شرطٌ واحدٌ بسيطٌ في ظاهره، عميقٌ في حقيقته؛ فالعلم بها ليس نطقاً باللسان فقط، بل يقيناً يملأ القلب حتى آخر لحظة من العمر.

باب الفتن وأُشراط الساعة

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - الفصل الثاني والعشرون، الباب الأخير من القسم السادس والكتاب كله

يختم هذا الكتاب بما ختم به النبي ﷺ جوابه لجبريل عليه السلام: علامات الساعة. وهي خاتمة تُعيد القارئ إلى أول الكتاب، حين سأل جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سأل عن الساعة، فكان الجواب إشاراتٍ لا يعلم وقتها إلا الله.

١. تكملة حديث جبريل: أُشراط الساعة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في تمة حديث جبريل الذي افتُتح به هذا الكتاب: قال جبريل: "فأخبرني عن الساعة". قال النبي ﷺ: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". قال: "فأخبرني عن أماراتها". قال: "أن تلد الأمة ربّها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". (متفق عليه)

حتى النبي ﷺ لم يدع علم وقتها؛ لكنه أعطى علامات: انقلاب الموازين الاجتماعية، حين يتحول أهل الفقر والحفاء إلى تباهٍ بالعمران، وتضطرب فيه العلاقات حتى بين الأم وولدها.

٢. قبض العلم بقبض العلماء

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا". (متفق عليه)

لا يُرفع العلم بحجٍّ مفاجئ، بل يموت من يحمله جيلاً بعد جيل؛ فإذا خلا الزمان من العلماء، امتلأ بمن يتصدر بلا علم، فتكون الفتنة في الفتوى نفسها لا في جهلٍ صريح يُعرف.

٣. بادروا بالأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً

وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". (رواه مسلم)

تَحْذِيرٌ مِنْ فِتْنٍ تُقَلِّبُ الْقُلُوبَ بِسُرْعَةٍ لَا يَتَوَقَّعُهَا صَاحِبُهَا؛ فَالْثَبَاتُ لَيْسَ مَضمُونًا
لِأَحَدٍ، وَالْعِلَاجُ الْوَحِيدُ هُوَ الْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ أَنْ تَحُلَّ الْفِتْنَةُ.

٤. من أشراط الساعة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن من أشراط
الساعة أن يُرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا". (متفق
عليه)

أربع علامات متلازمة: إذا غاب العلم حلّ الجهل محله، وإذا حلّ الجهل انفتحت
أبواب المحرمات التي كان العلم يصدّها.

٥. إنذار الأنبياء من الدجال

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما بُعث نبيٌّ إلا أُنذِر
أُمَّتَهُ الْأَعْوَرُ الْكَذَّابُ؛ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَإِنْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

مكتوبٌ كافر". (متفق عليه)

لم يترك هذا الإنذار لنبيٍّ واحد، بل توارثته الأمم كلها؛ فكل نبيٍّ حذر قومه من فتنةٍ عظيمة، تمييزاً واضحاً بين رب العالمين وبين من يدعي الربوبية زوراً.

٦. لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس". (رواه مسلم)

بهذا يُختم هذا المحور: فالساعة لا تقوم على الصالحين، بل يُرفعون قبلها؛ وتبقى الأرض لمن بقي فيها من شرار خلق الله، حتى يأذن الله بقيامها على من لا خير فيه.

٧. خير القرون قرني

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". (متفق عليه)

شهادةً للجبل الأول ومن تبعه بالخيرية، لا تعصباً لزمنٍ بعينه، بل لأنهم الأقرب عهداً بالوحي وصفاته؛ وفيها تذكيرٌ أن كل جيلٍ يتعد عن ذلك المعين الصافي يحتاج جهداً أكبر ليحافظ على أثره.

٨. يتقارب الزمان ويكثر الهرج

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشحّ، ويكثر الهرج" -وهو القتل- .
(متفق عليه)

أربع علاماتٍ تتزامن: وقتٌ يمرّ سريعاً فلا يكفي لعمل، وعملٌ يقلّ فيمن بقي، وشحٌّ يستقر في النفوس، وقتلٌ يكثر بلا سبب؛ صورةٌ مقلقة، لكنها إخبارٌ لا تحذيرٌ يمكن دفعه بالكلية.

٩. بدأ الإسلام غريباً

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء". (رواه مسلم)

بهذا يُختم الباب الأخير، ويُختم الكتاب كله: كما كان أول من آمن قلةً مستضعفة بين قومٍ رفضوهم، سيعود آخر الزمان كذلك؛ لكن النبي ﷺ لم يجعل هذه الغربة مدعاةً يأس، بل بشر أهلها بـ"طوبى" — فالقلة الثابتة على الحق ليست خاسرة، مهما بدت غريبة بين الناس.



ملحق

الأحاديث القدسية



ملحق: الأحاديث القدسية

تهذيب الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم - ملحق خاص يلي الأقسام الستة

الحديث القدسي كلامٌ ينطق به النبي ﷺ عن ربه مباشرة، فيُنسب لفظه إلى الله لا إلى النبي ﷺ، ومع ذلك فهو ليس قرآنًا: لا يُتعبَّد بتلاوته في الصلاة، ولا يُشترط فيه التواتر كالقرآن، لكنه كلامٌ إلهيٌّ خاصٌ يحمل من العلوِّ والقرب ما لا يحمله سواه. وقد سبق أن ورد بعض هذه الأحاديث موزعًا في أبواب الكتاب (كحديث "رحمتي سبقت غضبي" في التوحيد، و"الصيام لي وأنا أجزي به" في الصوم)؛ وهذا الملحق يجمع طائفةً أخرى منها، لم ترد سابقًا، ليقراها القارئ متتابعة بما يليق بجلالها من تركيز.

١. حديث الولاية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، قال: "من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه؛ وما

ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه". (رواه البخاري)

من أعظم ما ورد في القرب بين العبد وربه: يبدأ بالفرائض كأصل لا غنى عنه، ثم تُفتح بالنوافل درجة أعلى، حتى تتحول جوارح العبد نفسها إلى ما يُوفَّق فيه بتوفيق الله؛ ليست حلولاً ولا اتحاداً، بل توفيقاً وتسديداً يجعل سمعه وبصره وحركته كلها موصولةً بالتزام أمر ربه. وفي ختامه صفةٌ عجيبة لا تُقاس بتردد المخلوقين: فحين يكره المؤمن الموت، يكره الله مساءته وهو مع ذلك قاضٍ بقبض روحه لا محالة؛ عطفٌ إلهي على العبد لا يمنع القدر، لكنه يرافقه.

٢. أنفق يا ابن آدم أنفق عليك

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "أنفق يا ابن آدم، أنفق عليك". (متفق عليه)

وعده مقرونٌ بشرطه: أنفق أولاً، ثم انتظر العطاء؛ فليست وعود الإنفاق تشجيعاً نظرياً، بل معادلةً مباشرة بين يد العبد ويد الله.

٣. ردّه سبحانه على من كذّبه وشتمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي، فقلوه: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته؛ وأما شتمه إياي، فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد". (رواه البخاري)

ردُّ إلهيٍّ مباشر على شبهتين قديمتين: إنكار البعث، ودعوى الولد؛ فالذي خلق أول مرة أقدر على الإعادة، والذي لا شبيه له لا يُنسب إليه ولدٌ ولا شريك.

٤. من أشرك في عمله تركته وشركه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه". (رواه مسلم)

لا يقبل الله في عملٍ شريكاً معه، ولو كان الشريك نية الرياء الخفية؛ فمن أشرك في نيته، ترك هو وما أشرك به، ولم ينل من الله شيئاً.

٥. مرضتُ فلم تعدني

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني". قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: "أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني". قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: "أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني". قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: "استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي". (رواه مسلم)

يجعل الله خدمة عباده المحتاجين كأنها خدمةٌ له سبحانه، تنزلاً منه لا حاجةً، فأقرب طريقٍ إلى القرب من الله قد يكون في زيارة مريضٍ أو إطعام جائعٍ لا يعرفهما أحد.

٦. قسمت الصلاة بيني وبين عبدي

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل. فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، قال الله: أثني عليّ عبدي. فإذا قال: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: مجدني عبدي. فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل. فإذا قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}... قال: هذا لعبدي، ولعبي ما سأل". (رواه مسلم)

في كل ركعة يقرأ فيها المصلي الفاتحة، حوارٌ خفيٌّ لا يشعر به: كل آيةٍ يقولها العبد، يقابلها الله بجوابٍ من عنده؛ فالصلاة ليست كلاماً يذهب إلى فراغ، بل مناجاةٌ حقيقية.

٧. ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور: نعيمٌ لا يستطيع خيال البشر أن يتخيله، لأنه ببساطة يتجاوز كل ما عرفه الإنسان في الدنيا من متعةٍ أو جمال؛ فما أدّخره الله لعباده الصالحين أكبر من أن تحيط به عينٌ أو أذنٌ أو قلبٌ بشري.

٨. الكبرياء ردائي والعظمة إزاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار". (رواه مسلم)

صفتان لا يشارك الله فيهما أحد: الكبرياء والعظمة، كثوبين لا يليقان إلا بلاسهما الحق؛ فمن حاول أن يتكبر على الخلق منازعاً لله في وصفه، كان مصيره النار.

٩. أنا الملك، أين الجبارون؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين

الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟". (متفق عليه)

مشهد يوم القيامة تصغر فيه كل عظمةٍ ادّعاها متكبرٌ في الدنيا: السماوات والأرضون كلها تُطوى بيد الله كصحيفة، وينادي بنفسه على من نازعه الكبرياء وهو لا يملك شيئاً أمامه.

١٠. لو يعلم المؤمن ولو يعلم الكافر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنّته أحد؛ ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنّط من رحمته أحد". (رواه مسلم)

توازنٌ دقيق بين الخوف والرجاء: لو انكشف للمؤمن مقدار العقوبة لعاش خائفاً لا مطمئناً، ولو انكشف للكافر مقدار الرحمة لعاش راجياً لا قانطاً؛ فحجب الغيب عن الطرفين رحمةً تُبقي التوازن قائماً.

١١. تضاعف الحسنة وعدم مضاعفة السيئة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "إذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنةً ما لم يعملها، فإذا عملها فأكتبها له بعشر أمثالها؛ وإذا تحدّث بأن يعمل سيئةً فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأكتبها له بمثلها". (متفق عليه)

ميزانٌ لا يُوجد في حسابٍ بشري: نيةٌ صالحة لم تُنفَّذ بعد تُكتب حسنة كاملة، ونيةٌ سيئة لم تُنفَّذ تُمحى بلا حساب؛ فالله يتجاوز عن الخاطر السيئ، ولا يتجاوز عن الخاطر الحسن.

١٢. يضحك الله إلى رجلين يدخلان الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة جميعاً: يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم، فيُستشهد". (متفق عليه)

بهذا يُختم هذا المحور: مشهدٌ يبدو للوهلة الأولى مأساة -قاتلٌ ومقتول- لكن الله يضحك له، لأن القدر ساق كليهما إلى الجنة: أحدهما بشهادته، والآخر بتوبته ثم استشهاده لاحقاً؛ فرحمة الله تتجاوز أحياناً ما يبدو للبشر أفسى المشاهد.

١٣. أين المتحابون بجلالي؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظْلَم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي".
(رواه مسلم)

بهذا يُختم الملحق: نداءً إلهي في أشد أيام الكرب حرًا، حين يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه، يبحث فيه الله بنفسه عمّن أحبّ غيره لأجله لا لأجل الدنيا، ليُظْلَم في ظلّ لا ظل سواه؛ فحبُّ صادقٍ عابر للمصلحة، قد يكون هو مفتاح النجاة في يومٍ يهرب فيه كل قريبٍ من قريبه.

المراجع

اعتمد هذا الكتاب حصراً على مصدرين اثنين، وامتنع عن الاستشهاد بما سواههما مهما بلغت شهرته:

المصدر الأول:

الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري).

المصدر الثاني:

الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم).

ملاحظة منهجية:

كل حديث ورد في هذا الكتاب مذيّل بالإشارة إلى مصدره: "متفق عليه" لما رواه الشيخان معاً، أو "رواه البخاري"، أو "رواه مسلم" لما انفرد به أحدهما. وقد استبعدت

عمدًا أحاديث مشهورة متداولة على الألسنة لثبوت أنها من رواية غير الشيخين (كسنن الترمذي أو أبي داود أو ابن ماجه)، ونُبّه على بعض ذلك صراحةً في موضعه.

تنبيهٌ للناشر أو القارئ المراجع:

هذه مسودةٌ أولى اعتمدت في صياغتها على استرجاعٍ دقيقٍ قدر الإمكان لنصوص الأحاديث، لا على نسخةٍ رقميةٍ مُحَقَّقةٍ تمت مطابقتها آليًا. يوصى قبل أي نشرٍ نهائيٍّ بمراجعة كل حديثٍ (لفظه ورقه) على نسخةٍ موثوقةٍ من الصحيحين، أو عبر منصات التحقق المعتمدة كموقع "الدرر السنية" أو "الموسوعة الحديثية".



اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،
واجعل هذا العمل خالصاً لوجهك، نافعاً لعبادك،
وصدقةً جاريةً لكاتبه وذويه بعد موته.

آمين



تم بحمد الله